دلائل الحق

أسئلة وردود في العقيدة الإسلامية

المجموعة الرابعة

إعداد

مركز الدليل العقائدي

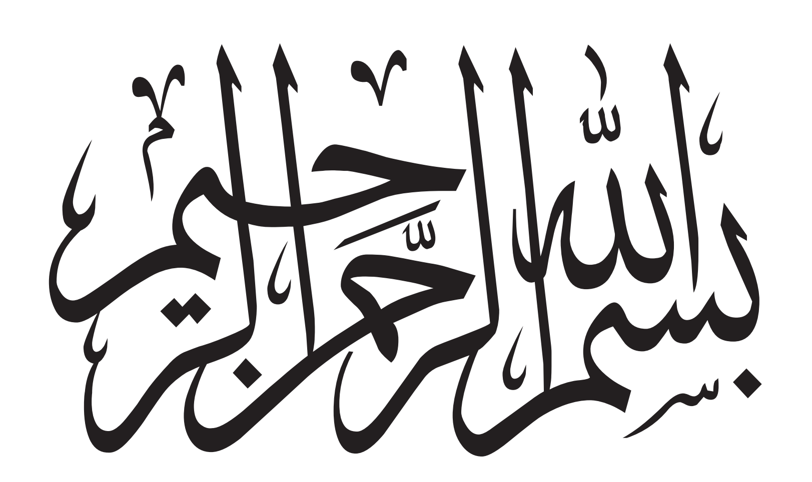





مركز بحثي متخصص في الرد على شبهات المخالفين

برعاية مؤسسة أم أبيها الخيرية الثقافية

المؤلف: السيد مهدي الموسوي الجابري
التدقيق والتصحيح اللغوي: الشيخ تحسين غازي البلداوي
التصميم والإخراج الفني: صفاء أحمد ثامر الشمري
محمد مهدي عبد الإله الجابري
سنة الطبع: ٢٠٢٢ م / ١٤٤٤هـ/ النجف الأشرف
طباعة وتجليد: مركز الدليل العقائدي


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسلامُ الأتمّانِ الأكملانِ على سيّدِ الأوّلينَ والآخرين وأشرفِ الخلقِ أجمعين، سراج المهتدين، والمبعوث رحمة للعالمين، المصطفى محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين.. وبعد:

انطلاقًا من قوله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1]، أخذ مركز الدليل العقائدي على عاتقه التصدّي للشُّبُهاتِ التي تطال العقيدةَ الإسلامية عمومًا، والتعريفَ بعقائدِ الشيعة الإماميّة خصوصًا، مع التصدي للرد على كلِّ الشبُهات التي تطال المذهبَ الشيعيَّ خاصة، هذا المذهب الشريف الذي أَسَّس بنيانَه، ووَضَع لبناتِه الأُولى النبيُّ الأقدس ﷺ حين قال في حديثٍ صحيح: (إني تاركٌ فيكم خليفتين: كتاب الله حبلٌ ممدود ما بين الأرض والسماء، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يتفرَّقا حتى يردا عليّ الحوض)، وما تلاه من بياناتٍ وأحاديث متضافرة تحثّ على التمسُّك والأخذ والمتابعة للثقلين (الكتاب والعترة) معًا، كهذا الحديث الصحيح: (إني تاركٌ فيكم ما إنْ تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يرِدا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)، وغيرها من الأحاديث الشريفة الصحيحة الواردة في هذا الجانب، التي يكاد المنصفُ أن يقول بتواترها، بل هي متواترة فعلًا، لتضافر نقلها عند

---

(١) فصلت: ٣٣.

جميع الفِرَق الإسلامية على اختلاف مشاربهم الفقهية والعقَدية.

وكل هذه الردود إنما تجري على وفق أسسٍ علمية ومنهجية سليمة، بعيدةٍ عن التعصُّب الأعمى والانغلاق المقيت، فالعلمُ هو السلاح الوحيد النافذ الذي يصح الاحتجاج به، وما عداه لا قيمةَ له، وقد نُسِب إلى سيد الموحِّدين أميرِ المؤمنين مولانا عليٍّ بن أبي طالبٍ عليه السلام قوله:

ففُزْ بعلمٍ ولا تطلُبْ به بدلًا   فالناسُ مَوتى وأهلُ العِلم أحياءُ

وعلى وفق هذه المعطَيات جاءت المجموعةُ الرابعة من الأسئلة والردود في العقيدة الإسلامية، وهي جزءٌ من سلسلةٍ من الكتبِ تحت عنوان (دلائل الحق)، آملين أنْ تجدوا فيه ما ينفعُكم في أمور دينِكم ودنياكم وآخرتكم، ونأمل أنْ تزدادوا بصيرةً بوقوفكم على حقائقَ نَفضْنا عنها غبارَ الشُّبهات بعد أنْ أثارها العابثون، وأسدلوا عليها ستارَ التضليل، ونرجو أنْ تكون هذه السلسلة نبراسًا لحلِّ ما التبس على بعضِ الناس من مسائلِ العقيدة، وإنارةِ السبيل لهم، وأنْ يجدوا فيها ضالَّتهم، وإجابةَ مسألتِهم.

ونسأل الله أنْ يَجمعَ شمْل المسلمين، ويزيدَ من عوامل التقائهم وأُلْفتِهم، ويجنِّبهم شرّ التطرُّف والمتطرِّفين، وشرّ الكفّارِ والملحدين، وأنْ تكون كلمةُ الله هي العليا، وكلمةُ الكفّار والمنافقين هي السُّفلى.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله رب العالمين، وصلى اللهُ على خير خلقه أجمعين، محمدٍ وآلِه الطيبين الطاهرين.

مهدي الموسوي الجابري

النجف الأشرف

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

الإمامة ليست موردًا للبداء

السائل: أبو علي الكربلائي

السؤال: قرأت في زيارة الإمامين العسكريين عليهما السلام: (السَّلامُ عَلَيْكُما يا مَنْ بَدا الله في شَأْنِكُما)، فهل المقصود بجملة (يا مَنْ بَدا الله) هو البداء الذي نعتقده نحن الشيعة الإمامية؟ وإذا كان هو المعنى فذلك محل إشكال نؤاخَذ عليه.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

في البدء لا بد من بيان أصل الزيارة التي ورد فيها المقطع المذكور ثم نعرِّج بعد ذلك على بيان المقطع الوارد فيها، فنقول:

إنّ الزيارة التي جاء فيها (السَّلامُ عَلَيْكُما يا مَنْ بَدا الله في شَأْنِكُما) ذكرها صاحب كامل الزيارات[1] وغيره، في حين أن غير واحد من العلماء نقلها، وليس فيها المقطع المذكور، منهم الشيخ الصدوق رحمه الله حيث ذكر الزيارة بعينها في الفقيه[2]، ولم يرد فيها (السلام عليكما

(١) كامل الزيارات، ص٥٢٠، رقم الرواية ٨٠٢.

(٢) من لا يحضرهُ االفقيه، ج٢، ص٣٦٨.

يا من بدا الله في شأنكما)، هذا فضلًا عن كون الزيارة مرسلةً، ولا سند لها يُذكر أصلًا، حيث أوردها صاحب كامل الزيارات كذلك، قائلًا: (روي عن بعضهم أنّه قال...)، إذن فهذه الزيارة لا يُعلم صحة صدورها عن المعصوم عليه السلام، وكلُّ من نقلها من الأعلام لم يذكر سندًا لها.

ولو سلَّمنا بصحة الزيارة وصحةِ صدورها عن المعصوم عليه السلام، فإنّ معنى المقطع المذكور الوارد فيها هو: أن الله عز وجل أظهر أمرًا من أمور الإمامين العسكريين وشؤونهما كان خافيًا عن الناس غير بيّنٍ عندهم؛ إذ كان يبدو لهم أن الإمام بعد الهادي عليه السلام هو ابنه السيد محمد سبع الدجيل.

وليس لفظ (البداء) الوارد في المقطع المذكور بالمعنى الذي يُفترى به على الشيعة الإمامية، فالإمامة ليست موردًا للبداء، يقول الشيخ المفيد رحمه الله: (وأمّا الإمامة فإنه لا يوصف الله فيه بالبداء، وعلى ذلك إجماع فقهاء الإمامية، ومعهم فيه أثر عنهم عليهم السلام أنهم قالوا: «مهما بدا لله في شيء فلا يبدو له في نقْل نبيٍّ عن نبوّته ولا إمامٍ عن إمامته، ولا مؤمن قد أخذ عهده بالإيمان عن إيمانه»...)[1].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

(١) الفصول المختارة، ص٣٠٩.

السيد الخوئي قدس سره لا يقول بكفر أهل السنة ولا بجواز لعنهم

المستشكل: جلال محمد جلال

الإشكال: ها هو الخوئي يقول بكفر أَهل السنّة وجواز لعنهم في كتابه مصباح الفقاهة، ويثبت بالروايات والأدعية والزيارات جواز لعن المخالفين ووجوب البراءة منهم وإكثار السبّ عليهم، ويقول: لا شبهة في كفرهم، ويأتي أتباعه ومقلدوه، فيقولون: أنه أراد بذلك الناصبي، ولكنْ عُرِف من فتاوى فقهائكم أن كلمة المخالف تعني السنّي، وبالنتيجة أنتم تكفّرون أَهل السنّة كلّهم.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

نقول في الردّ على هذا الكلام: هناك قاعدة معروفة عند الفقهاء تقول: التفصيل قاطع للشركة، ففي كلّ مورد يجري فيه التفصيل بين شيئين فهذا يعني أنّهما لا يشتركان في الحكم نفسه.. وفي موردنا هنا نجد أنّ فقهاء الإمامية قد فصّلوا في موضوع المخالف وصنفوه إِلى صنفين: مخالف ناصبي، ومخالف غير ناصبي، فالأوّل قالوا بكفره ونجاسته، والثاني قالوا بإسلامه وطهارته..

فالفرق بين السنّي الناصبي والسنّي غير الناصبي واضح جدًّا؛ لاختلاف الموردين موضوعًا وحكمًا؛ إذ بين الاثنين عمومٌ من وجه كما هو واضح، والخلط بينهما من الجهل بمكان.

وأمّا الوجه في حكم فقهائنا على الناصبي بالكفر والنجاسة فهو لمخالفته الضروري في الإسلام، الذي هو لزوم محبة أهل بيت النبيّ ﷺ ومودّتهم، وهذا الحكم لا تنفرد به الشيعة الإمامية فقط، فالناصبي ملعون عند المسلمين جميعًا، فها هو ابن تيمية يقول في أجوبته على مسائل مقدم المغولي ما نصّه: «قال (أي مقدم): فما تحبّون أهل البيت؟ قلت (ابن تيمية): محبتهم عندنا فرض واجب يؤجر عليه. قال مقدم: فمن يبغض أهل البيت؟ قلت: من أبغضهم فعليه لعنة الله والملآئكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا»[1].

بقي أن نشير إلى ما يستند إليه البعض من تكفير الشيعة مقابل تكفيرهم للسنّة بما يجده من عبارات توهم التكفير في بعض كتبهم، فمثلًا جاء في كتاب «مصباح الفقاهة» للسيد الخوئي ما نصّه: «أنّه ثبت في الروايات والأدعية والزيارات جواز لعن المخالفين ووجوب البراءة منهم وإكثار السبّ عليهم واتهامهم والوقيعة فيهم: أَيْ غيبتهم؛ لأنهم من أهل البدع والريب. بل لا شبهة في كفرهم؛ لأَنّ إنكار الولاية والأئمة حتّى الواحد منهم والاعتقاد بخلافة غيرهم وبالعقائد الخرافية كالجبر ونحوه يوجب الكفر والزندقة»[2].

ونقول في الردّ على هذه الدعوى: من المعروف في علم الأصول عند

(١) انظر: كتب ورسائل ابن تيمية في العقيدة، ج٤، ص٤٨٨.

(٢) مصباح الفقاهة، ج٢، ص١١.

الفريقين أنّه عند تعارض الظهورات في الأقوال يصار إِلى الجمع العرفي بينها، وقد مرّ بنا سابقًا من كلام السيد الخوئي في فتاويه أنّه يقول بإسلام المخالف - أيّ السني غير الناصبي - وطهارته، بينما ظاهر عبارته هنا يوحي خلاف ذلك.. فكيف يتم الجمع بين الكلامين؟!

وفي الجواب عنه نقول: تحمل عبارته هنا على المخالف من أهل الريب والبدع لا مطلق المخالف، بدليل أنّه قدس سره قد استند في كلامه هذا - كما هو الملحوظ من صدر عبارته - على ما ثبت في الروايات والأدعية والزيارات، وعندما نرجع إِلى الروايات نجد هذا التفصيل الذي أشرنا إليه، كهذه الرواية الصحيحة السند التي رواها الشيخ الكليني في الكافي عن داود بن سرحان، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فأظهروا البراءة منهم، وأكثروا من سبِّهِم والقول فيهم والوقيعة، وباهتوهم كي لا يطمعوا في الفساد في الإسلام، ويحذرهم الناس، ولا يتعلمون من بدعهم، يكتب الله لهم بذلك الحسنات، ويرفع لكم به الدرجات». وهذه الرواية قد صححها السيد الخوئي في كتابه «مصباح الفقاهة»[1]، فارجع إلى ذلك ثمة..

وكذلك قول السيد الخوئي: «لا شبهة في كفرهم»، فهو بعد حكمه بإسلام المخالفين في فتاويه الصريحة في «المنهاج» يكون المراد من تكفيرهم هنا الكفر الأصغر، أَيْ كفر المعصية المقابل للطاعة، دون الكفر الأكبر المخرج عن ملة الإسلام.

فإنّ للكفر - كما تقدّم بيان - إطلاقات في القرآن الكريم والسنّة الشريفة،

---

(١) مصباح الفقاهة، ج١، ص٢٨١ و٣٥٤.

فقد يطلق الكفر، ويراد به المعصية كما في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[١]، أَو يراد به كفران النعم، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[٢]، فهذا كلّه من الكفر الأصغر أَو كما يطلق عليه البعض: كفر دون كفر.. فها هو البخاري يعنون بابًا في صحيحه تحت عنوان: (باب كفران العشير، وكفر دون كفر). قال ابن حجر في «فتح الباري»: «قال القاضي أبو بكر بن العربي في شرحه: مراد المصنف أن يبين أنّ الطاعات كما تسمى إيمانًا كذلك المعاصي تسمى كفرًا، لكن حيث يطلق عليها الكفر لا يراد الكفر المخرج من الملة»[٣].

وعليه فلا مجال لمؤاخذة الشيعة الإمامية على بعض العبارات الموجودة في كتبهم هنا وهناك، وذلك بعد إمكان الجمع بينها جمعًا عرفيًّا صحيحًا ينتهي إِلى القول بإسلام المخالف السنّي - غير الناصبي - وطهارته، وأَمّا محاولة البعض اقتطاع هذه النصوص وإبرازها دون بقية الأقوال الأخرى للعلماء، فهذه عملية فاشلة وبائسة، تكشف عن جهل فاعليها وقصورهم في الجمع بين كلمات أهل العلم على نحو صحيح، وقد عاب المولى سبحانه وتعالى الذين يجعلون القرآن عضين، أَيّ الذين يجزئونه أجزاء، فيؤمنون ببعض، ويكفرون بالبعض الآخر، والحال أنّ مصدر الكلام واحد![٤].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

---

(١) الجامع الصغير، للسيوطي، ج٢، ص٤٠.
(٢) إبراهيم: ٧.
(٣) فتح الباري، ج١، ص٧٨.
(٤) من أجوبة الشيخ خالد البغدادي رحمه الله.

حديث غدر الأمة بعلي عليه السلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

السائل: مصطفى كاظم

السؤال: كثيرًا ما يطالبنا الإخوة من أهل السنة بتصحيح حديث غدر الأمة بمولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بل بعضهم يشكك فيه، فهل بالإمكان النظر فيه وتصحيحه من كتب المخالفين؟ ليكون إلزامًا لهم وحجة عليهم، وتقبلوا مني خالص الاحترام والتقدير.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

إن حديث الإمام علي عليه السلام في غدر الأمة به بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأحاديث المعتبرة المشهورة، وقد رواه عن الإمام علي عليه السلام، ثلاثة من التابعين: أبو إدريس إبراهيم بن أبي حديد الأودي، وثعلبة بن يزيد الحماني، وأبو الهياج حيان بن حصين الأسدي.

فأما رواية أبي إدريس الأودي، فقد رواها المحدث المشهور الحارث بن أبي أسامة البغدادي في مسنده[١]، والحاكم في المستدرك[٢]، وغيرهما

(١) مسند الحارث، ح ٩٨٤.

(٢) المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٥٠.

بإسنادهم إلى هشيم عن إسماعيل بن سالم عن أبي إدريس الأودي عن علي، وذكر الحديث، وهو بهذا الإسناد ضعيف؛ لأن أبا إدريس الأودي مجهول الحال.

وأما رواية ثعلبة بن يزيد الحماني، فقد رواها الحافظ أبو بكر بن أبي شيبة، قال: حدثنا أبو نعيم الفضل، ثنا فطر بن خليفة، أخبرني حبيب بن أبي ثابت، قال: سمعت ثعلبة بن يزيد، قال: سمعت عليًّا يقول: «والله إنه لعهد النبي الأمي: سيغدرونك من بعدي»[١]. ورواه أيضا البزار في مسنده[٢].

قال البوصيري: رواه أبو بكر بن أبي شيبة بإسناد حسن[٣]. ونقل ذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه (المطالب العالية بزوائد المساند الثمانية)[٤]، والحديث بهذا الإسناد حسن كما قال البوصيري.

وأما رواية حيان الأسدي، فقد رواها الحاكم النيسابوري في المستدرك[٥]، ونقل ذلك أيضًا الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه (إتحاف المهرة) عن الحاكم بإسناده إلى يونس بن أبي يعفور عن أبيه، قال: «حدثني حيان الأسدي، قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: قال لي رسول الله ﷺ: عهد معهود أن الأمة ستغدر بك بعدي»[٦].

والحديث بهذا الإسناد حسن، رجاله مشهود لهم بالصدق، علمًا

---

(١) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ج ١٦ ، ص٦٤.
(٢) مسند البزار، ج٣، ص٩١، ح ٨٦٨.
(٣) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، ج٧، ص١٨٦.
(٤) المطالب العالية بزوائد المساند الثمانية، ج١٦، ص٦٤، ح٣٩١٩.
(٥) المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٥٣.
(٦) اتحاف المهرة، ج١١، ص٢٩٦.

أن الحاكـم قـد صحـح هـذا الحديـث، ووافقـه الذهبـي عـلى ذلـك. ثـم إن هـذا الحديـث بمجمـوع طرقـه الثلاثـة يتقـوّى ويصبـح صحيحًـا عـلى طبـق قواعـد علـم الحديـث.

وقال الدكتور موفق بن عبد الله بن عبد القادر، محقق كتاب المؤتلف والمختلف للدار قطني[١]، ما نصه: رواه الخطيب في تاريخ بغداد[٢]، والحاكم[٣]... عن علي رضي الله عنه، قال: إن مما عهد إليّ النبي صلى الله عليه وسلم «أن الأمة ستغدر بي بعده» هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وأقرَّه الذهبي في المستدرك، فقال: صحيح. انتهى.

والحمـد لله أوّلًا وآخـرًا، وصـلّى الله وسـلّم عـلى سـيّدنا ونبيّنـا محمّـد وآلـه الطيّبـين الطاهريـن المعصومـين المنتجَبـين.

❀❀❀

(١) هامش كتاب المؤتلف والمختلف، ج ١، ص٤١٣.

(٢) تاريخ بغداد، ج١١، ص٢١٦.

(٣) المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٤٠.

الكتاب والسنة أخبرانا عن الصحابة خيارهم وشرارهم

المستشكل: أبو محمد المرعي

الإشكال: لو سئل أهل كل دينٍ عن خير أهل ملتهم لقالوا: أصحاب الأنبياء والرسل هم أفضل أهل دينهم، ويشهد لذلك السنن الكونية والشرعية.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

لا توجد ملازمة عقلية ولا تكوينية ولا شرعية بين صلاح الفرد وصلاح أهله أو أصحابه، فهذا كلام لا يوجد دليل عليه، بل الدليل على خلافه، وأصحاب الأنبياء (صلوات الله عليهم) الذين تتحدث عنهم، أخبرنا عنهم القرآن الكريم، وبيّن لنا خيارهم وشرارهم.

فقد أخبرنا القرآن الكريم عن أصحاب موسى عليه السلام الذين جاهد

من أجلهم، وأخرجهم من ظلم آل فرعون، وعبر بهم البحر بمعجزة يندر أن يأتي التأريخ بمثلها، فانظر ماذا قالوا لموسى عليه السلام بعد عبورهم البحر، يقول تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آَلِهَةٌ﴾[1].

بل وجدنا القرآن الكريم يحدثنا عن أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفسه بأن فيهم شبهة الارتداد والانقلاب على الأعقاب، يقول تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ الله شَيْئًا﴾[2].

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي الله بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَالله وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3].

فهل انقلب أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الأعقاب، كما تشير إلى إمكانه الآيات المتقدمة على نحو واضح وصريح، فإن الوقوع فرع الإمكان كما هو مقرر في علم المعقول؟!

نقول: جاءتنا رواياتٌ صريحة صحيحة تقول بحصول الارتداد من الصحابة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهي المسماة بأحاديث

(١) الأعراف:١٣٨.
(٢) آل عمران:١٤٤.
(٣) المائدة:٥٤.

الحـوض، وإليـك طرفًـا منهـا:

جاء في صحيح البخاري: «عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ليرِدَنَّ عليَّ ناسٌ من أصحابي الحوض، حتى عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك"» [١].

وجـاء فيـه أيضًـا: «عـن سـهل بـن سـعد، قـال: قـال النبـي صـلى الله عليه وسـلم: "إني فرطكـم عـلى الحـوض، مـن مرَّ عـليّ شرِب، ومـن شربِ لم يظمـأ أبـدا، لـيرِدَنَّ عـليّ أقـوام أعرفهـم، ويعرفـوني، ثـم يحال بيني وبينهـم" قـال أبـو حـازم: فسـمعني النعـمان بـن أبي عيـاش، فقـال: هكـذا سـمعت مـن سـهل؟ فقلـت: نعـم، فقـال: أشـهد عـلى أبي سـعيد الخـدري، لسـمعته وهـو يزيـد فيهـا: "فأقـول: إنهـم منـي، فيقـال: إنـك لا تـدري مـا أحدثـوا بعـدك، فأقـول: سـحقًا سـحقًا لمـن غـيّر بعـدي"» [٢].

وجـاء فيـه أيضًـا: «عـن ابـن المسيب، أنـه كان يحدِّث، عـن أصحـاب النبـي صـلى الله عليـه وسـلم: أن النبـي صـلى الله عليـه وسـلم قـال: "يـرد على الحـوض رجـالٌ مـن أصحـابي، فيحـلأون عنـه، فأقـول: يـا رب أصحـابي، فيقـول: إنـك لا علـم لـك بـما أحدثـوا بعـدك، إنهـم ارتـدوا عـلى أدبارهـم القهقـرى"» [٣].

وجـاء فيـه أيضًـا: «عـن أبي هريرة، عن النبـي صلى الله عليه وسـلم قال: "بينـا أنـا قائـم إذا زمـرة، حتـى إذا عرفتهـم خـرج رجـلٌ مـن بينـي وبينهـم،

(١) صحيح البخاري، ج٨، ص١٢٠.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

فقال: هلم، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى. ثم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم، فقال: هلم، قلت أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم"»[١].

وجاء في صحيح مسلم: «عن أبي حازم، قال: سمعت سهلًا، يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "أنا فرطكم على الحوض، من ورَدَ شرِب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا، وليردنّ عليّ أقوام أعرفهم، ويعرفوَني، ثم يحال بيني وبينهم" قال أبو حازم: فسمع النعمان بن أبي عياش، وأنا أحدثهم هذا الحديث، فقال: هكذا سمعت سهلًا يقول؟ قال فقلت: نعم. قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد، فيقول "إنهم مني"، فيقال: إنك لا تدري ما عملوا بعدك، فأقول: "سحقًا سحقًا لمن بدل بعدي"»[٢].

فهذه الأحاديث واضحة جدًّا، ولا يمكن حملها على المرتدين أو الجفاة من الأعراب، كما يحلو للبعض أن يوجه هذه الأحاديث حسب مشتهاه المذهبي، ففي هذه الأحاديث عبارات صريحة جدًّا لا تقبل التأويل، نحو قوله ﷺ: «من أصحابي»، وقوله: «فأقول: يا ربِّ أصحابي»، الظاهرة في أن المبدلين من بعد النبي ﷺ والمحدثين في الدين هم ممن صحبه ﷺ وخالطه، وهذا هو الذي يقتضيه الظهور للعبارات المذكورة.

---

(١) المصدر السابق، ج٨، ص١٢١.

(٢) صحيح مسلم، ج٤، ص١٧٩٣، ح ٢٢٩٠.

ونحـو قولـه: (رجـال منكـم)، (أعرفهـم ويعرفونـي..)، فهـذه عبارات لا يمكـن حملها عـلى المرتديـن مـن الأعـراب في أطـراف الجزيـرة بـأي حـال مـن الأحـوال.

ومـن هنـا نجـد الإمـام مالـكًا ينـدم عـلى إدراج أحاديـث الحـوض في موطئـه - عـلى صحتهـا -، قـال أحمـد الصديـق المغـربي: «حكـي عـن مالـك أنـه قـال: مـا ندمـت عـلى حديـث أدخلتـه في الموطـأ إلا هـذا الحديـث. وعـن الشـافعي أنـه قـال: مـا علمنـا في كتـاب مالـك حديثـا فيـه ازدراءٌ عـلى الصحابـة إلا حديـث الحـوض، ووَدنـا أنـه لم يذكـره»[١].

بـل نزيـدك أكثـر مـن ذلـك، فقـد ثبـت بأدلـة صحيحـة وحسـنة روتهـا كتـب أهـل السـنة أنفسـهم عـلى أن هنـاك قومًـا في أمـة النبـي ﷺ هـم أفضـل مـن الصحابـة، وإليـك طرفًـا منهـا:

جـاء في حديـث صحّـحه الحاكـم في مسـتدركه، وحسّـنه ابـن حجـر في فتـح البـاري: «يـا رسـول الله أ أحـد خـير منـا، أسـلمنا معـك، وجاهدنـا معـك؟ قـال: قـومٌ يكونـون مـن بعدكـم يؤمنـون بي، ولم يـروني»[٢].

وروى ابـن حبـان في صحيحـه: «عـن عـمار بـن يـاسر، قـال: قـال رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم: "مثَـل أمتـي مثَـل المطـر لا يـدرى أولـه خـير أو آخـره"»[٣]، قـال ابـن حجـر في الفتـح: «وهـو حديـث حسـن، لـه

(١) فتح الملك العلي، ص١٥١.
(٢) فتح الباري، ج٧، ص٦؛ المستدرك على الصحيحين، ج٤، ص٩٥.
(٣) صحيح ابن حبان، ج١٦، ص٢٠٩.

طرق قد يرتقا بها إلى الصحة»[١].

وفي سياق ما تقدم قال ابن حجر في الفتح: «وروى أبو داود والترمذي من حديث أبي ثعلبة رفعه تأتي أيامٌ، للعامل فيهن أجر خمسين، قيل: منهم أو منا يا رسول الله؟ قال: بل منكم، وهو شاهد لحديث مثل أمتي مثل المطر»[٢].

وروى أحمد بسنديه: «عن أنس بن مالك، وعن أبي حامد، مرفوعًا: "طوبى لمن رآني، وآمن بي، وطوبى لمن آمن بي، ولم يرني" سبع مرات»[٣]، قال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني بأسانيد، ورجالها رجال الصحيح غير أيمن بن مالك الأشعري، وهو ثقة»[٤].

وجاء في فتح القدير للشوكاني: «وأخرج البزار وأبو يعلى والحاكم، وصححه عن عمر بن الخطاب، قال: "كنت جالسًا مع النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أنبئوني بأفضل أهل الإيمان إيمانًا؟ فقالوا: يا رسول الله! الملائكة، قال: هم كذلك، ويحق لهم، وما يمنعهم، وقد أنزلهم الله المنزلة التي أنزلهم بها؟ قالوا: يا رسول الله! الأنبياء الذين أكرمهم الله برسالته والنبوة، قال: هم كذلك، ويحق لهم، وما يمنعهم، وقد أنزلهم الله المنزلة التي أنزلهم بها؟ قالوا: يا رسول الله! الشهداء الذين استشهدوا مع الأنبياء، قال: هم كذلك، وما يمنعهم، وقد أكرمهم الله بالشهادة؟ قالوا: فمن يا رسول الله؟!

---

(١) فتح الباري، ج٧، ص٥.
(٢) فتح الباري، ج٧، ص٦.
(٣) مسند أحمد، ج٢٠، ص٣٧.
(٤) انظر: مجمع الزوائد، ج١٠، ص٦٧.

قال: أقوام في أصلاب الرجال يأتون من بعدي، يؤمنون بي، ولم يروني، ويصدقوني، ولم يروني، يجدون الورق المعلق، فيعملون بما فيه، فهؤلاء أفضل أهل الإيمان إيمانًا"»[1].

وأخرج مثله القرطبي في تفسيره، والبيهقي في الدلائل، والأصبهاني في الترغيب، والطبراني، وابن أبي شيبة، وابن عساكر، وأحمد، والدارمي، والبخاري في تاريخه بأسانيدهم؛ فارجع إليه!

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) فتح القدير، ج١، ص٣٤.

التوحيد والنبوة والإمامة.. بين الشيعة والسنة

المستشكل: إسراء عبد الله

الإشكال: الشيعة والسنة لا يختلفون في توحيد الله تعالى، ولا يختلفون في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، والاختلاف بينهم فقط في إمامة عليّ رضي الله عنه، وهذا الخلاف أو الاختلاف لا يعد أمرًا ضروريًّا، ولا يتوقف عليه دخول الجنة أو النار، فعلى ماذا إذن التقاتل طالما أنّ الأمر هكذا؟! أليس هو التعصب للمذهب ليس غير؟؟

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

أما عن قولك: إن الشيعة والسنة لا يختلفون في توحيد الله تعالى.

فنقول: هناك فرق بين التوحيدين، وفيه تفاصيلُ كثيرة، لا يسع هذا المختصر ذكرها، فمثلًا تقول الأشاعرة - الذين هم فرقةٌ كلامية

كبيرة من فِرق السُّنة -: إن صفاته ﷻ كالعلم والقدرة والسمع والبصر ونحوها من الصفات الكمالية للذات، وهي زائدةٌ عن ذاته ﷻ مفهومًا ومصداقًا(١).

بينما تقول الشيعة الإمامية: إن صفاته ﷻ عين ذاته، ولا توجد اثنينية بين الصفات والذات، نعم هي مختلفة مفهومًا، فالعلم غير الحياة، لكنها متحدة مصداقًا.

والقول السابق للأشعرية يلزم منه تعدُّد القدماء، فإذا كان النصارى يقولون بقدماءَ ثلاثة (الأب والابن والروح)، فالأشاعرة قالوا بقدماء ثمانية (الذات وصفاتها السبعة)، وهذا غير مقبول عقَديًّا.

أما السلَفية، الفرقة الكلامية السّنية الثانية، وهم أتباع ابن تيمية، فقد ذهبوا في موضوع الأسماء والصفات بحملها على ظاهرها الحقيقي، أيْ قالوا: لله يدٌ حقيقيّة، كما وصف نفسه ﷻ في القرآن بأنه له يدٌ حين قال: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾. وهكذا بقية الصفات من السمع والبصر والوجه والرِّجل والسّاق ونحوها الواردة في القرآن والسُّنة(٢).

بينما قال الشيعة الإمامية: إن هذه الألفاظ يُراد منها معانيها المجازية المعروفة في لغة العرب، فاليد في قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ يراد بها أنّ قدرته تعالى فوق قدرتهم.

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ المراد بالوجه: الدِّين،

(١) انظر: اللمع، ص٣٠، والإبانة، ص١٠٨، كلاهما لأبي الحسن الأشعري.

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن باز، ج٤، ص١٣٠، وغيرها.

فالديـن هـو الوجـه الـذي يُؤتـى اللهُ منـه، ويُتوجَّـه بـه إليـه، وهكـذا بقيـة الصفـات الخبريـة[١].

والقـول السـابق للسـلفية يلـزم منـه التركيـب والتجسـيم عـلى نحـوٍ واضـح، وهـو منـافٍ للتوحيـد الحقيقـي جزمًـا.

وأما عن قولك: ولا يختلفون في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم.

فنقول: إنّ من يسمون أنفسهم بـ(أهل السنة)، هم أنفسهم يعتقدون أنّ النبي ﷺ غير معصوم في ما يصدر عنه عدا الوحي، فيجوِّزون بذلك مخالفته وعصيانه من حيث يشعرون أو من حيث لا يشعرون؛ وغير المعصوم غير واجب الطاعة شرعًا وعقلًا، والاعتقاد بخطئه يلزم عدم طاعته، وطالما أنه كذلك في معتقدهم، فلا يستقيم إطلاق تسمية «أهل السنة» عليهم، لأن السنة كما لا يخفى هي مجموع أفعال وأقوال وتقارير ﷺ، فكيف يصح منهم اعتماد سنته مع اعتقادهم بعدم عصمته؟!

وأمـا عـن قولـك: الاختـلاف في إمامـة عـليّ عليه السلام لا يعـد أمـرًا ضروريًّـا ولا يتوقـف عليـه دخـول الجنـة أو النـار.

فنقـول: توجـد روايـات يرويهـا أهـل السـنة أنفسـهم تقـول: إن الأمـة سـتفترق إلى ثـلاث وسـبعين فرقـة كلهـا في النـار والناجيـة منهـا واحـدة، فمـن هـي هـذه الفرقـة الناجيـة؟

قـد تقـول: جـاء في بعـض طـرق حديـث الفرقـة الناجيـة أن الفرقـة

---

(١) انظر: الاعتقادات في دين الإمامية، للشيخ الصدوق، ص٢١، وما بعدها.

الناجية هي ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وأهل السنة هم على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه فهم الفرقة الناجية.

نقول: قوله ﷺ: (ما أنا عليه وأصحابي) يشير إلى حالة الوفاق التي كان عليها أصحاب رسول الله ﷺ في حياته لا حالة الاختلاف والاقتتال التي حصلت بينهم بعده، وعليه ينبغي الاعتماد على الأحاديث المتفق عليها بين الجميع حتى نعرف الطريق إلى الفرقة الناجية.

وإذا رجعنا إلى السنة الشريفة وجدنا حديثًا صحيحًا بل متواترًا كما شهد به ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة وغيره بأن طريق النجاة يمر عبر الإيمان والتمسك بالعترة الطاهرة، فقد جاء عنه ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما، لن تضلوا بعدي أبدًا».

فالناجون هم المتمسكون بالكتاب الكريم والعترة الطاهرة.

وهاهنا سؤال هو: هل تمسك أهل السنة بالعترة الطاهرة؟!

الجواب: لا، فهم لا يأخذون عنهم فقههم ولا عقائدهم بشهادة ابن تيمية الذي شهد في كتابه «منهاج السنة النبوية»: «أن أئمة المذاهب السّنّية لم يأخذوا من فقه عليّ عليه السلام أي شيء يذكر»[1].

وكذلك قول الشيخ الألباني في كتابه "الفتاوى المهمة في التفرقة

---

(١) ينظر: منهاج السنة النبوية، ج٧، ص٥٢٩.

بين السنة والشيعة": «يكفي عندنا القرآن والسنة، وهم عندهم القرآن وأهل البيت»[١].

فهذه شهادة أخرى من الألباني بأن الذين يتابعون أهل البيت هم الشيعة دون السنة، وهذا يثبت أنهم هم الناجون بحسب حديث الثقلين المتقدم دون غيرهم.

والمحصلة مما تقدم أنه ينبغي على الإنسان الإيمان بإمامة أهل البيت عليهم السلام حتى يضمن النجاة في الآخرة حسب حديث الثقلين المتقدم.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) الفتاوى المهمة في التفرقة بين السنة والشيعة، ص ١٥٤.

إدمان التفكر عبادة وأصلٌ لجميع العبادات

السائل: الشيخ طاهر السماوي

السؤال: هل التّقوَى هي الباعِث على التّفكُّر أو العكس؟ وإذا كان الباعِث على تقوَى الله ﷻ هو التّفكُّر فهل هو مُطلق التّفكُّر او التّفكُّر بِحُدودٍ قد حُدّتْ مِن قِبَل الشّريعة الغرَّاء؟ ومتى يأتي دوْر التّفكُّر؟ بعد معرِفة الله سُبحانه وتعالى أو أنّه هو الطّريق الموصِل إلى معرِفة الله ﷻ؟

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

قبل الإجابة على هذِه التّساؤُلات لابدَّ لنا مِنْ بيان معنى التّفكُّر لُغةً واصطِلاحًا، ثمّ تأتي الإجابة عن ذلِك تِباعًا.

التّفكُّر لُغة: مأخوذ مِن – فكر – الّتي تدُلّ كما يقول ابن فارِس: على تردُّد القلب في الشّيْء، يُقال تفكَّر إذا رَدَّد قلبه مُعتبرًا، ولفظ التّفكُّر

مصدر لتفكَّر. وجاء في لِسان العرب: الفِكر والتّأمُّل وإعمال الخاطِر في الشّيْء. وقال بعض المحققين: إنّ الأصل الواحد في المادّة هو تصرّف القلب وتأمّل منه بالنظر إلى مقدّمات ودلائل ليهتدي بها إلى مجهول مطلوب. وقريب منه ما يقول السبزواري: الفكر حركة إلى المبادي ومن المبادي إلى المراد[1].

ومطلق التفكر كما في قوله ﷻ: ﴿وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2] يراد به جولان النظر القلبي في موضوع معين ماديًا كان أو معنويًا؛ ليصل إلى ما هو مطلوب له، ويهتدي إليه.

ومما تقدم نُدرِك أنّ التّفكُّر عمل قلبي مُستمِرّ، مناطُه العقل؛ لقوله ﷻ: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[3]، فالتفكر عمليّة تمارس بالقلب والعقل، وتشترك فيها الحواس، لا تُقصد بذاتها، وإنّما بِما يُحصِّلُه المرء مِنها، وهو معرفة الحقائق الباعثة على العمل والطّاعة، ولذلك فسر الشيخ الطوسي قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4] بأن هذه الآية تدل على أن الله تعالى أراد من جميعهم التفكر والنظر المؤدي إلى المعرفة[5].

---

(١) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن، للمصطفوي، ج٩، ص١٢٦.
(٢) النحل: ٤٤.
(٣) آل عمران: ١٩١.
(٤) النحل: ٤٤.
(٥) مجمع البيان، ج٦، ص١٥٩.

فالتفكر مآله الطاعة والتسليم والانقياد لله رب العالمين، وإلا فلا فائدة منه.

والتفكر اصطلاحًا: هو سير الباطن من المبادئ إلى المقاصد، والمبادئ: هي آيات الآفاق والأنفس، والمقصد: هو الوصول إلى معرفة موجدها ومبدعها والعلم بقدرته القاهرة وعظمته الباهرة؛ ولذا ورد عليه الحث والمدح في الآيات والأخبار[١].

فأما الآيات، فهي كقوله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٣].

وأما الأخبار فهي كقول رسول الله ﷺ: «التفكر حياة قلب البصير»[٤]، وقوله: «فكرة ساعة خيرٌ من عبادة سنة، ولا ينال منزلة التفكر إلا من خصه الله ﷻ بنور التوحيد والمعرفة»[٥]، وقوله: «أفضل العبادة إدمان التفكر في الله وفي قدرته»[٦]، والمراد من التفكر في الله في قوله ﷺ هو التفكر في قدرته ﷻ وفي صنعه وعجائب أفعاله وفي مخلوقاته وغرائب آثاره ومبدعاته، لا التفكر في ذاته ﷻ، لتوارد الأخبار في المنع

(١) جامع السعادات، للنراقي، ج١، ص١٦١.
(٢) الروم: ٨.
(٣) آل عمران: ١٩١.
(٤) وسائل الشيعة، ج٦، ص١٧١.
(٥) بحار الأنوار، ج٦٨، ص٣٢٦.
(٦) جامع السعادات، ج١، ص١٦١.

عنه، معللًا بأن التفكر في ذاته ﷻ يورث الحيرة والدهشة واضطراب العقل.

بعد أن اتضح ما تقدم، آن أوان الإجابة على تلك التساؤلات واحدًا تلوَ الآخر:

هل التّقوَى هي الباعِث على التّفكُّر أو العكس؟

جوابه: يُعدُّ التفكر أوّل شرط من شروط مجاهدة النفس، وبه يوقن الإنسان أنه لا خالق إلا الله كما في قوله ﷻ: ﴿الله الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، فالتفكر في حقيقة الأمر تسخير العقل وتصحيح إرادة الإنسان من الجانب الخُلُقي، فضلًا عن تقويته أصول التقوى في النفس، الأمر الذي يؤدي إلى تقويم الأفعال وتشذيب السلوك، والعبادة الحقة هي ما كانت بتحريك من العقل، فالتفكر في الطبيعة والخلقة وفي قصص الأمم السالفة والأحداث التاريخية باعث على إحياء العقل وإنعاشه، فيؤدي إلى استقامة الإنسان وعدم انحرافه وانحطاطه وتردّيه واتباع شهواته، فاتباع الشهوات يُشعر بعدم الانصياع لما أكد عليه القرآن الكريم والسنة المطهرة من التفكر في آيات الله ﷻ، وعدد من هذه الآيات جاء في تعداد نعم الله ﷻ وما سخره للإنسان في هذه الأرض من وسائل الحياة، كما في قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا

---

(١) الجاثية:١٢ – ١٣.

﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١].

وفي قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢]، وغيرها من الآيات المباركة.

فالتفكر باعث على التقوى، والتقوى لها الأثر البالغ في دوام التفكر وإدامته.

وبالجملة فإنّ إدمان التفكر عبادةٌ وأصلٌ لجميع العبادات، وهو أفضلها.

وعن سؤال: هل الأمر بالتفكُّر الوارد في الآيات والروايات هو مُطلق التّفكُّر أو التّفكُّر بِحُدودٍ قد حُدّتْ مِن قِبَل الشّريعة الغرَّاء؟

نجيب: ليس المراد مطلق التفكر فيشمل حقيقة الذات المقدسة وحقيقة قدرته وسائر صفاته؛ إذ معرفتها والتفكر فيها خارج عن قدرة البشر ولا يصل إليها العقل، والتفكر فيها يؤدي إلى الضلال المبين والإلحاد في الدين، بل المراد به التفكر في آيات صنع الله وآثار قدرته؛ فإن التفكر فيها وفي عظمتها يدل على عظمة الصانع وكمال قدرته، ومما يدل على ذلك ما رواه محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إياكم والتفكر في الله، ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمته فانظروا إلى عظيم خلقه»[٣]، وما رواه حسين بن المياح

---

(١) الرعد:٣.
(٢) الجاثية:١٣.
(٣) الكافي، ج١، ص٩٣.

عن أبيه، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من نظر في الله كيف هو، هلك»[١].

ومنه تعرف أن التفكر على قسمين: تفكر في الخلق، وهو مما حرصت الشريعة الإسلامية على الحث على إدمانه وإدامته.

وتفكرٌ في الخالق، وهذا مما ورد المنع عنه لاقتضائه الهلاك كما ورد في كلام الإمام الصادق عليه السلام المتقدم في الرواية آنفة الذكر.

وعن السؤال: متى تأتي وظيفة التّفكُّر؟ بعد معرِفة الله سُبحانه وتعالى أو أنّه هو الطّريق الموصِل إلى معرِفة الله عزّ وجلّ؟

نجيب: أنه غالبًا ما يأتي في ذيل الآيات المسخرات الحث على التفكر، وكأنه وسيلة موصلة إلى فهم طبيعة هذه الآيات التكونية التي تفضي إلى حقيقة واحدة، وهي أن وراء هذا الكون المُسخَّر إله واحدٌ، يستحق من العبد الثناء عليه والشكر له على جميع المسخرات، وأول مراتب الشكر: العبادة.

وهناك حقيقة أخرى تتلو ما أفضت إليه الحقيقة الأولى، وهذه الحقيقة هي عدم عبثية خلق العالم الدنيوي، وهذه حقيقة نطق بها القرآن الكريم على لسان المتفكرين من المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[٢]،

(١) المصدر السابق.
(٢) آل عمران: ١٩١.

فدلت هذه الآية على أن عالم الدنيا ما هو إلا مطية الخلق إلى العالم الحقيقي، كما جاءت آية أخرى تؤكد هذه الحقيقة، لكنْ في سياق استنكار فعل الغافلين عن الآخرة: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاء رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾[1]، فقد أرشد سبحانه وتعالى في هذه الآية الشريفة إلى طريق العلم واليقين به، وهو التفكر في خلق الكون بأرضه وسمائه، وما فيهما من تدبير وإحكام وتنسيق بين أجزائه وكلياته، ومنه تعرف أن التفكير العلمي الرصين هو الطريق إلى معرفة الله سبحانه وتعالى بالتفكر في خلقه وتدبر عظمته، فحقيق به أن يكون أفضل صنوف العبادة وأرقى وسائل التكامل الذاتي للإنسان.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) الروم:٧.

الحرية لا تعني التحلل عن القيم والأخلاق

المستشكل: ماجد محمد.

الإشكال: الحفلات والمهرجانات هي حرية شخصية، ومن لا يريد المشاركة لا يشارك، بل هي إحدى أساليب التطور والتحضر، وما جاء الدين ليكمِّم الأفواه، ويقمع الحريات.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

من مهازل الدهر أن يفسر بعض المتخلفين الحرية بأنها تعني التحلل عن القيم والأخلاق، وهذا هو محض السقوط الفكري والنفسي أمام هيمنة الشهوات عليهم، ونحن من حقنا - في كوننا مسلمين، لنا ديننا وعقيدتنا وتأريخنا وحضارتنا وفلسفتنا في الحياة- أن نعمل بما تمليه علينا شريعتنا من مفاهيم، ولا نستنسخ المفاهيم القادمة إلينا من جماعات غريبة عن ثقافتنا

وديننا وأخلاقنا وعقيدتنا، فمفهوم الحرية في الإسلام معناه رفض العبودية، العبودية للبشر والعبودية للشهوات، هذا هو مفهوم الحرية الذي تقوم عليه شريعة الإسلام.

يقول تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

فهنا يخاطبنا المولى سبحانه وتعالى بكل وضوح بأنك حرٌّ في معتقدك، ولا إكراه في ما تريد التدين به، لقد أوضحنا لك الأمور كلها، وأمامك طريقان: طريق العبودية لمن هم من جنسك وخلقك (الطواغيت الذين يستعبدونك، ويلغون إنسانيتك) وطريق العزة والكرامة في الإيمان بخالق ليس كمثله شيء (وهو طريق العروة الوثقى التي لا انفصام لها).

يقول الإمام علي عليه السلام: «لا تكن عبد غيرك وقد خلقك الله حرًّا»[2]، كما يقول تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ﴾[3].

وهنا ينهانا المولى عن عبودية الشهوات واتخاذها آلهة تعبد من دون الله.

---

(١) البقرة:٢٥٦.

(٢) بحار الأنوار، ج١٠٠، ص٣٩.

(٣) الجاثية:٢٣.

هـذا هـو مفهـوم الحريـة الـذي عرفنـاه مـن ديننـا، ومـن حقنـا في كوننـا مسـلمين أن نمنـع أي مفهـوم آخـر للحريـة يأتينـا مخالفًـا لمعتقداتنـا وأخلاقنـا، ويـراد لـه أن يعيـث الفسـاد في بلادنـا.

والحمـد لله أوّلًا وآخـرًا، وصـلّى الله وسـلّم عـلى سـيّدنا ونبيّنـا محمّـد وآلـه الطيّبـين الطاهريـن المعصومـين المنتجَبـين.



دعوى أن الكوفة أو العراق كله كان شيعيًا يوم قتل الحسين عليه السلام

المستشكل: مرام الحديدي

الإشكال: يقول زين العابدين: أتنوحون وتبكون من أجلنا؟ فمن الذي قتلنا؟ يقول محسن الأمين: بايع الحسين عشرون ألفًا من أهل العراق، غدروا به، وخرجوا عليه، وبيعته في أعناقهم، وقتلوه. أعيان الشيعة ١: ٣٤. والصريح بأن هؤلاء شيعة الحسين هم الذين قتلوا الحسين!! بدليل أن الكوفة، بل العراق كله يومذاك كان شيعيًّا، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

لم يقل السيد الأمين في عبارته هذه أن شيعته هم الذين قتلوه، بل قال: بايعه كذا عدد من أهل العراق، فلما أقدم إليهم قتلوه، ولا

يلزم أن يكون هؤلاء من شيعته، والدليل على أن هؤلاء ليسوا من شيعته أنه عليه السلام خاطبهم على نحو صريح، وقال لهم: يا شيعة أبي سفيان.. وهو عليه السلام أعرف من غيره بالذين خرجوا عليه، والبحوث التاريخية تؤكد أن الكوفة يوم قدوم الحسين عليه السلام لم يكن فيها من شيعته إلاّ القليل، وقد زجهم ابن زياد في السجون، لمنعهم من نصرة الحسين عليه السلام.

إنّ الذين قاتلوا الإمام الحسين عليه السلام هم شيعة أبي سفيان، وليسوا من شيعة علي عليه السلام، والدليل هو قول الإمام الحسين عليه السلام في الواقعة ذاتها، وهو أعرف بمن خرج عليه، حين خاطب مقاتليه، وقال لهم: «ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون يوم المعاد فكونوا أحرارًا في دنياكم هذه، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عربًا كما تزعمون»[١].

ويشهد لهذا الكلام ابن تيمية في «منهاج السنّة النبوية»[٢]، الذي صرّح بأنّ قاتلي الإمام الحسين عليه السلام هم من النواصب.

وتصريح القوم بأنهم يقاتلونه بغضًا لأبيه دليلٌ صارخ على عدم تشّيعهم: «إنا نقتلك بغضًا لأبيك»[٣].. بل خطابهم لبرير الهمداني «من أصحاب الحسين عليه السلام» حين خاطبهم قائلًا: «وهذا ماء الفرات تقع فيه خنازير السواد وكلابه قد حيل بينه وبين ابن رسول الله»،

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي، ج٢، ص٣٨.

(٢) منهاج السنّة النبوية، ج٤، ص٣٦٨.

(٣) ينابيع المودة، ج٣، ص٨٠.

فقالوا: «يا برير قد أكثرت الكلام فاكفف، والله ليعطش الحسين كما عطش من كان قبله». ويقصدون بذلك عثمان بن عفّان!!

وبديهي أن مثل هذا الجواب لا يصدر من شيعيّ قط.

وشهادة ابن كثير في «البداية والنهاية» بأنّ الذين خرجوا مع الإمام الحسين عليه السلام في أوّل أمره ستون رجلًا فقط من أهل الكوفة، وكانوا من شيعته، وقتلوا معه.

قال: «وبعث أهل العراق إلى الحسين الرسل والكتب يدعونه إليهم، فخرج متوجهًا إليهم في أهل بيته وستين شخصًا من أهل الكوفة صحبته، وذلك يوم الإثنين في عشر ذي الحجة»[(١)].

ثم قال في الجزء نفسه: «قال هشام: فحدثني عبد الله بن يزيد بن روح بن زنباع الجذامي، عن أبيه، عن الغاز بن ربيعة الجرشي من حمير. قال: والله إني لعند يزيد بن معاوية بدمشق إذ أقبل زحر بن قيس، فدخل على يزيد، فقال له يزيد: ويحك ما وراءك؟ فقال: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله عليك ونصره، ورد علينا الحسين بن علي بن أبي طالب وثمانية عشر من أهل بيته، وستون رجلًا من شيعته، فسرنا إليهم، فسألناهم أن يستسلموا، وينزلوا على حكم الأمير عبيد الله بن زياد أو القتال، فاختاروا القتال، فغدونا إليهم مع شروق الشمس، فأحطنا بهم من كل ناحية حتى أخذت السيوف مأخذها من هام القوم»[(٢)]. انتهى.

---

(١) البداية والنهاية، ج ٨، ص١٧٨.
(٢) المصدر نفسه، ج٨، ص ٢٠٨.

ولم يثبت تاريخيًّا بأنّ أحدًا من الخارجين لحرب الحسين عليه السلام كعمر بن سعد وشبث بن ربعي وحصين بن نمير ونحوهم كانوا من شيعة عليّ عليه السلام، بل النصوص تدل على أنهم من جمهور المسلمين.

قد يقال: هم كانوا محكومين تحت أمرة أمير المؤمنين عليه السلام أيام حكمه؟

فنقول: ليس بالضرورة أنّ كل من يكون محكومًا بإمرته عليه السلام أو صلى خلفه شيعيًا، بل قد يكون يراه خليفةً للمسلمين حاله حال بقية الخلفاء، والإمام عليه السلام بهذا الاعتبار مقبول عند الجميع.

والكوفة لم تكن كلها يومذاك شيعية، كما يتصور البعض، قياسًا على واقعها اليوم، بل الشيعة فيها - كما ذكر بعضهم - يمثّلون سبع سكّانها، أي بحدود خمسة عشر ألفَ شخص حسب نقل التأريخ، وقد زُجّ ما يقرُب اثني عشر ألفًا في السجون بأمر زياد بن أبيه، وقسم منهم أعدموا، وقسم منهم سفّروا الى الموصل وخراسان، وقسم منهم شرّدوا، وقسم منهم حيل بينهم وبين الحسين عليه السلام مثل بني غاضرة، وقسم منهم استطاعوا أن يصلوا إلى الحسين عليه السلام.

فها هو الطبراني في المعجم الكبير[١] ينقل بإسنادٍ صحيح كما يثبت ذلك الهيثمي في مجمع الزوائد[٢] بأنّ زياد بن أبيه كان يتتبع الشيعة في الكوفة، فيقتلهم، فبلغ ذلك الإمام الحسن بن علي عليه السلام، فدعا عليه.

---

(١) المعجم الكبير، ج ٣، ص ٦٨.

(٢) مجمع الزوائد، ج٦، ص٢٩٥.

وقد شهد ابن تيمية بأنّ مجتمع الكوفة لم يكن كلّه شيعة لعلي عليه السلام، فقال بصريح العبارة: «وكانت الكوفة بها قوم من الشيعة المنتصرين للحسين، وكان رأسهم المختار بن أبي عبيد الكذاب، وقوم من الناصبة المبغضين لعلي رضي الله عنه وأولاده، ومنهم الحجاج بن يوسف الثقفي»[١].

والتاريخ يخبرنا عن حصول تغير ديموغرافي في الكوفة قام به عبيد الله بن زياد قبل مجيء الإمام الحسين عليه السلام إليها، فقد جاء في "تاريخ الشعوب الإسلامية": «حتى إذا توفي المغيرة سنة ٦٧٠ م، صار زياد أميرًا على البصرة والكوفة جميعًا، وكان من تقاعس سلفه وضعفه أن أقدم أتباع علي على ثورة مسلحة جاءت فرصةً سانحةً لزيادة تصفية الحساب مع العلويين مرّة وإلى الأبد، وبعد أن أخمد زياد هذه الثورة دونما جهد كبير، حلّ منظمات المقاتلين القبلية السابقة، وأعاد تنظيمهم في جماعات أربع على رأس كلّ منها رجلٌ من الموالين للبيت الأموي، ثم إنّه أنزل الكوفيين -كانوا أعظم الثوار تشيعًا- وأسرهم، وعددًا كبيرًا من البدو يبلغون الخمسين ألفًا، في خراسان، المقاطعة الفارسية الشرقية»[٢].

فدعوى أن الكوفة أو العراق كله كان شيعيًّا آنذاك هي دعوى باطلة، لا دليل عليها، بل الشواهد والنقل التاريخي على خلافها.

ومن هنا نقول: هذه الشبهة هي أوهن من بيت العنكبوت عند التتبع لها، وحتى لو فرضنا جدلًا - وفرض المحال ليس بمحال -

(١) منهاج السنّة النبوية، ج٨، ص٥٥٤.

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية، ل كارل بروكلمان، ص ١٢٣.

بـأن شـخصًا كان شـيعيًّا ثـم رفـع السـيف بوجـه إمامـه، وقاتلـه، فهـل يسـمى بعـد ذلـك شـيعيًّا ومواليًـا؟؟!! مـن الواضـح جـدًّا أن صفـة التشـيع ستنسـلخ عنـه؛ لأنّ العقيـدة تـدور مـدار الإيـمان بهـا وتطبيقهـا، فـإذا خالفهـا الإنسـان لا يكـون مـن أهلهـا.. ولكـن الجاهلـين في غيهّـم يعمهـون.

والحمـد لله أوّلًا وآخـرًا، وصـلّى الله وسـلّم عـلى سـيّدنا ونبيّنـا محمّـد وآلـه الطيّبـين الطاهريـن المعصومـين المنتجَبـين.



دليلُ وجوب الاجتهاد والتّقليد من القرآن الكريم

المستشكل: عمار أحمد

الإشكال: اثبتوا لنا وجوب التقليد بدليلٍ من القرآن، وهل إنه يوجب الاجتهاد كما يوجب التقليد من حيث أنه إذا وجب التقليد فلازمه وجوب الاجتهاد؟ وما وجه هذه الملازمة إن ثبت ذلك، ثم هل كان في صدر الإسلام اجتهاد؟ وإذا كان فمن المؤكد أن ماهية الاجتهاد في ذلك الوقت غير ماهية الاجتهاد في الحاضر.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

الدليل على وجوب الاجتهاد والتقليد من القرآن الكريم هو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ



﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[١].

فهذه الآية الكريمة دلّت على وجوب النّفر للتفقّه في الدّين، هذا الوجوب المستفاد من دخول (لولا) التحضيضيّة على الفعل الماضي، فقد أكَّدَ علماء اللُّغة بأنّ (لولا) إذا دخلت على الفعل المضارع أفادت الحضَّ على الفعل والطلب له، وإذا دخلت على الماضي أفادت التّوبيخ واللَّوم على ترك العمل[٢].

وهي هنا قد دخلت على الفعل الماضي، فهي تفيد اللّوم والتّوبيخ على ترك النّفر للتفقُّه في الدّين، وهي بهذا المعنى تفيد وجوب النّفر - والنفر في اللغة: هو تجافي الإنسان عن محلّه الذي تواجد فيه، والمراد به في الآية الكريمة: هو الهجرة والسفر لطلب العلم - لأنَّ اللّوم والتوبيخ على ترك الفعل لا يصح إلا إذا كان الفعل واجبًا.

فهذه الآية الكريمة دلَّت على وجوب الاجتهاد - الذي هو التفقُّه في الدّين - وأنّ هذا الوجوب على نحو الوجوب الكفائيّ لا العينيّ؛ لأنّها قالت بأنّ هذا الأمر إنّما يجب على طائفة من كلِّ فرقة، فهو وجوبٌ كفائيّ لا عينيّ.

فهي كما دلَّت على وجوب الاجتهاد دلَّت على وجوب التّقليد أيضًا.

أما وجه الملازمة بين وجوب الاجتهاد ووجوب التّقليد، فهو

(١) التوبة: ١٢٢.
(٢) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج٢، ص٣٩٣.

للملازمة بين إيجاب الإنذار وإيجاب القبول، وإلّا كان التّشريع لغوًا.

بيان ذلك: أن قوله تعالى: ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ يفيد وجوب الإنذار على المتفقّهين، بمعنى: أنّ على الّذين هاجروا وسافروا إلى طلب العلم والتفقُّه في الدّين يجب عليهم أن يقوموا بمهمّة تحذير قومهم وإنذارهم من عدم الالتزام بالشّريعة إذا رجعوا إليهم، وهذا الإيجاب للإنذار على المتفقّهين يلزم منه إيجاب قبول إنذارهم من الطّرف الآخر، وإلا كان إيجاب الإنذار بدون إيجاب القبول لغوًا وبلا فائدةٍ.

وأما أنّ الاجتهاد في الصّدر الأول للإسلام هو غير الاجتهاد في العصور المتأخّرة.

فنقول: لا يختلف الاجتهاد في زماننا عن الاجتهاد في الزّمان السّابق إلّا من حيث الصّعوبة والسُّهولة، فإنَّ التفقُّه ومعرفة الأحكام بالدّليل في الصّدر الأوّل لم يكن متوقّفًا على مقدّمات كثيرة كما هو الحال في زماننا الحاضر، وإنّما كان يتوقّف على سماع الحديث فقط، فهو لم يكن متوقّفًا على تعلُّم اللّغة؛ لكونه من أهل اللّسان، وحتّى لو كانوا من غيرهم، ولم يكونوا عارفين باللّغة كانوا يسألونها من الإمام عليه السلام، وأمّا حجيّة الظهور واعتبار الخبر الواحد -اللّذان هما الرُّكنان في الاجتهاد- كانتا عندهم من المسلَّمات، وهذا كلُّه بخلاف العصور المتأخّرة التي يتوقف الاجتهاد فيها على هذه المقَدّمات ونحوها.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

لسان الروايات وأقوال العلماء في ذم التقليد في أصول الدين لا فروعه

المستشكل: إسماعيل أبو مروة

الإشكال: ورد في بعض الرِّوايات ذمُّ التّقليد، فكيف تقولون بلزوم التّقليد ووجوبه، فقد ورد ذمُّ التّقليد في بعض الرِّوايات، كهذه الرِّواية التي رواها الشّيخ المفيد، قال: وقال عليه السلام: «وإيّاكم والتّقليد، فإنّه مَن قلَّدَ في دينه هلكَ، وإنَّ الله تعالى يقول: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ الله**﴾، فلا والله ما صلّوا لهم ولا صاموا، ولكنّهم أحلّوا لهم حرامًا، وحرَّموا عليهم حلالًا، فقلّدوهم في ذلك، فعبدوهم وهم لا يشعرون»(تصحيح اعتقادات الإماميّة ص ٧٢). وقال أيضًا: (التّقليد مذمومٌ باتّفاق العلماء ونصِّ القرآن والسنّة) وكذلك قال الشّيخ الطوسيّ، والمحقِّق الحليّ.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

موضوع التقليد موضوعٌ ثابت وراسخٌ، تدلُّ عليه أدلّة كثيرة توجبه، وتجعل عمل المكلَّف من دون تقليد واتّباعٍ لمرجع من مراجع

الدّين عملًا باطلًا وغير مقبول.

وهذا المعنى -أي وجوب التقليد- نقوله لمن لم يصل إلى مرتبة الاجتهاد، ولم يقدر على الاحتياط في عباداته ومعاملاته.

والتقليد في اللغة: من القلادة، ومعناه: جعلها في عنق الغير.

وأما اصطلاحًا فهو: الأخذ بفتوى الغير وتعلُّمها للعمل بها، أو هو: الاستناد إلى فتوى الغير في مقام العمل.

ولعلَّ التعريف الثّاني هو الأنسب للمعنى اللّغويّ؛ لأنَّ المقلِّد هو مَن يجعل القلادة في عنق الغير، والعاميُّ عندما يقلِّد المجتهدَ الجامعَ للشّرائط فهو يجعله مسؤولًا عن صحّة عمله أمام الله ﷻ، ويجعل هذا العمل في عنق المجتهد، وهذا لا يتحقّق إلاّ بالعمل نفسه.

والملحوظ على الرَّواية التي ذكرها المستشكل عدة أمور:

١- أنّها محذوفة الإسناد، فهي مرسلةٌ من هذه النّاحية، ولا حجيّة للمرسَل فقهًا.

٢- لقد وردت عدّة روايات عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام حول تفسير الآية الكريمة الواردة في هذه الرِّواية، وبعضُها معتبرٌ، لم يرد فيها شيءٌ من التّعبير بالتّقليد الذي أورده الشّيخ المفيد قدس سره، ولعلّه نقل بالمعنى؛ لِمَا شاع في زمان المفيد عن التّقليد المذموم في العقائد.

٣- ولو سلَّمنا أنّها تتناول التّقليد في الفروع -الحلال والحرام-، فإنّها تذمُّ تقليدَ من ليس مؤهَّلًا للإفتاء من الّذين يستقون علومَهم

ومعارفهم من غير أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

فما قاله الشيخ المفيد هذا نصه: «لا يصحّ النهي عن النّظر؛ لأنّ في العدول عنه المصير إلى التّقليد، والتّقليد مذمومٌ باتّفاق العلماء ونصّ القرآن والسنّة»[١].

وما قاله الشّيخ الطوسيّ هذا نصه: «فإنْ قيل: أين أنتم عن تقليد الآباء والمتقدِّمين؟ قلنا: التّقليد إن أُريد به قبول قول الغير من غير حجة - وهو حقيقة التّقليد - فذلك قبيح في العقول»[٢].

وما قاله المحقِّق الحليّ هذا نصه أيضًا: «إنَّ التّقليد قبول قول الغير من غير حجّة، فيكون جزمًا في غير موضعه، وهو قبيحٌ عقلًا»[٣].

وكلُّ هذه الأقوال وأمثالها إنَّما تتحدّث عن ذمِّ التّقليد في أصول الدّين لا فروع الدّين، وإلا فهؤلاء العلماء الأعلام أنفسهم عندهم رسائل عمليّة أفتوا فيها للنّاس بمختلف الأحكام الفقهيّة، وكانوا مراجع تقليدٍ في زمانهم، فافهم وتدبر.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

---

(١) تصحيح اعتقادات الإمامية، ص ٧٢.

(٢) الاقتصاد، ص١٠.

(٣) معارج الأصول، ص١٦٦.

وجوب التّقليد مُستفاد من السّيرة العقلائيّة القطعيّة ومن سيرة المتشرِّعة

السائل: أحمد السيد مناف

السؤال: ذكرتم في بعض منشوراتكم أدلة وجوب التقليد من القرآن الكريم، وذكرتم قبلها أدلة وجوبه بالروايات الشريفة، فهل هناك غير القرآن والروايات ما يدل على وجوبه أو لنقل يعضد أدلة الكتاب والروايات كالسيرة العقلائية مثلًا، وسيرة المتشرعة؟ وكيف يتم الاستدلال بذلك؟

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

في المواضيع السابقة كانت الإجابات بحسب السؤال أو الإشكال، فالسائل يريد دليلًا من القرآن الكريم أو من الروايات الشريفة، ونحن إذ نكتفي في الجواب بذكر الدليل المطلوب، وإلا فموضوع التقليد

موضـوعٌ ثابـت وراسـخٌ، تـدلُّ عليـه أدلّـة كثـيرة توجبـه، وتجعـل عمـل المكلَّـف مـن دون تقليـد واتّبـاع لمرجـعٍ مـن مراجـع الدّيـن عمـلًا باطـلًا وغـير مقبـول، ومـن تلـك الأدلـة السـيرة العقلائيـة القطعيـة.

والسيرة العقلائية هي إحدى أدلّة الاستنباط للحكم الشرعيّ، وعليها مدار التّعويل في أبرز ركن من أركان الاجتهاد، وهو: حجيّة خبر الواحد، فالفقه يعتمد كثيرًا على خبر الواحد، ولولا خبر الواحد لاندرست الشريعة، وتوقّفت عن التّواصل مع النّاس عبر الأجيال، فليس كلُّ الأحكام الفقهيّة متواترةً أو مقطوعةَ الصُّدور عن أهل البيت عليهم السلام، فالمتواترُ قليلٌ جدًّا في الشريعة، ولم يبقَ طريقٌ أمام الناس للأخذ بالأحكام إلّا من خبر الواحد، وقد ثبتت حجيّة خبر الواحد بالسّيرة العقلائيّة القطعيّة، أي: بالسّيرة الممضاة من زمان المعصومين عليهم السلام؛ حيث كان النّاس يعتمدون في معاملاتهم واتّفاقاتهم على خبر الواحد، ويأخذون به، وكان الأئمّة عليهم السلام يرون هذه السّيرة بين النّاس في الأخذ بخبر الواحد، ولم يعترضوا عليها، فعُدَّ هذا السّكوت من المعصومين عليهم السلام إمضاءً لحجيّة خبر الواحد، ويجوز الأخذ به شرعًا، والاعتماد عليه في استنباط الأحكام الشرعيّة.

نقول: هذا المعنى نفسه من السّيرة العقلائيّة تجده في الرُّجوع إلى أهل الخبرة، فقد كان النّاس يرجعون إلى أهل الخبرة أيّام المعصومين عليهم السلام، بل قبل زمانهم، وكان هذا الرُّجوع على مرأى ومَسمَع من المعصومين عليهم السلام، ولم يثبت صدور ردعٍ من المعصومين عليهم السلام للنّاس في عدم الرُّجوع إلى أهل الخبرة.

فعُدَّ هذا السّكوت وعدم الرّدع من الأئمة عليهم السلام إمضاءً للأخذ بهذه السّيرة العقلائيّة في الرّجوع إلى أهل الخبرة، والفقهاء والمجتهدون هم من أهل الخبرة في اختصاصهم، فيجوز الرّجوع إليهم في هذا الجانب؛ بموجِب هذه السّيرة العقلائيّة المضاة من الأئمة المعصومين عليهم السلام.

ومن الأدلّة التي يمكن الاستناد إليها في المقام هي: سيرة المتشرّعة، وهذه السّيرة لا تحتاج إلى إمضاء المعصوم -كالسّيرة العقلائيّة المتقدِّمة-، بل هي بنفسها تستبطن رضا المعصوم عليه السلام وموافقته؛ باعتبارها سيرة خاصّة بالمتشرِّعة بما هم متشرّعة، وليس بما هم عقلاء.

فقد ورد في بعضِ الرِّوايات أنَّ الأئمة عليهم السلام أرجعوا شيعتهم إلى العلماء من أصحابهم في أخذ معالم الدّين وفي القضاء، وعلى هذا كانت سيرة أتباع أهل البيت عليهم السلام في الرّجوع إلى أصحاب الأئمّة الثقات وأخذ معالم الدّين عنهم؛ بأمرٍ من الأئمّة عليهم السلام أنفسهم، وقد شهدنا عصرَ الغيبة الصُّغرى، ووجدنا الشّيخَ الكلينيّ قدس سره يؤلِّف كتابًا، يتضمّن اختيارات فقهيّة واستنباطًا للأحكام في الجمع بين الرِّوايات المتعارضة وترجيح بعضها على بعض، وهو كتابه المعروف بـ(الكافي)، وكذا وجدنا عليَّ بن بابويه - والد الشّيخ الصّدوق - له رسالة (الشّرائع) التي كانت مشهورةً بين الأصحاب، وقد نقل الشّيخ الصّدوق ولدُه فقراتٍ منها في كتبه، وهكذا يمتد الأمر إلى زمن الغيبة الكبرى فيؤلِّف الشّيخ الصّدوق - المولود بدعاء الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف كما هو المعروف - كتاب (الفقيه) و(المقنع) و(الهداية)، ويؤلِّف الشّيخ المفيد كتاب (المقنعة)، ويؤلِّف الشّيخ الطوسيّ كتابَ (النّهاية)، وكلُّها كتبٌ فقهيّة ألّفها

أصحابها للنّاس؛ لغرض العمل بها، كما تشير إلى ذلك مقدِّمات هذه الكتب.

بل نجد مِن علماء الطّائفة مَن يصرِّح بالإجماع على جواز التّقليد، كالسيّد المرتضى قدس سره الذي قال: «لا خلافَ بين الأمّة قديمًا وحديثًا في وجوبِ رجوع العاميّ إلى المفتي.. ومَن خالفَ في ذلك كان خارقًا للإجماع»(١).

وقال الشّيخ الطوسيُّ: «والذي نذهبُ إليه: أنّه يجوز للعاميّ -الّذي لا يقدر على البحث والتّفتيش- تقليد العالِم. يدلُّ على ذلك: أنّي وجدتُ عامّةَ الطّائفة من عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى زماننا هذا يرجعونَ إلى علمائها، ويستفتونهم في الأحكام والعبادات، ويفتونهم العلماءُ فيها»(٢).

وقال المحقِّق الحليّ: «اتّفاق علماء الأمصار على الإذنِ للعوام في العمل بفتوى العلماء من غير تناكر، وقد ثبت أنّ إجماع أهل كلِّ عصر حجّة»(٣).

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

---

(١) الذّريعة، ج٢، ص٧٨٦.
(٢) العدّة في أصول الفقه، ج٢، ص ٧٢٩.
(٣) معارج الأصول، ص١٢٩.

الجمودُ على ما يُفهم من ظاهر اللفظ نوعٌ من الانحراف

المستشكل: أنصار البرقعي

الإشكال: قال عباس القمي في (مفاتيح الجنان، حاشية، ص٥) عن سورة الرحمن: «لا تدعوا قراءة سورة الرحمن والقيام بها؛ فإنها لا تقر في قلوب المنافقين (وتأتي بها) يوم القيامة في صورة آدميٍ في أحسن صورةٍ وأطيب ريحٍ حتى تقف من الله موقفًا لا يكون أحد أقرب إلى الله منها...».

إن من كتب تلك الأمور لم يستخدم عقلَه، وإلا لعرف أنه ليس لِلَّهِ تعالى مكان يتحيز فيه، حتى يأتي إليه شيء، ويقترب منه، ويقف لديه!!

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

إن الجمود على ما يفهم من ظاهر اللفظ، وعدم تجاوز حرفيّته، وعدم العناية بالقرائن العقلية والنقلية المعتبرة، بل ولا التدقيق في النواحي اللغوية

والنحوية، هو نوع من الانحراف، بل يُعدّ أكبر خطأ، وإذا ما أردنا تطبيق هذا الفهم الساذج والمغلوط على بعض آيات القرآن الكريم التي تتحدّث عن قرب الله تعالى لخلقه، كقوله تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيهِ مِنكم ولَكِنْ لا تُبْصِرُونَ﴾(٢)، وقوله: ﴿ولَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ ونَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ونَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾(٣)، سنخرج بنتيجة مفادها أنّ الله ﷻ متحيّز في مكان -كما يرى الكاتب ويرمي به غيره- تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

فماذا يقول الكاتب عن قول الله ﷻ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾(٤)، فهل إن هذه الآية تصف الله ﷻ بمكانٍ يحل فيه، فيُحجب عنه فيه عباده، أو إن المقصود أنّهم عن ثواب ربّهم لمحجوبون؟!

وماذا يقول عن قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾(٥)، هل إن الآية تصف الله ﷻ بالمجيء والذهاب، أو إن المقصود «وجاء أمر ربك والملك صفًّا صفًّا»؟!.. وكذا غيرها من الآيات التي ترد إشكالًا على فهم الكاتب ومن نهج نهْجه في الجمود على ما يفهم من ظاهر اللفظ.

والرواية التي ذكرها الكاتب -وفهم منها التحيز في مكان- وردت في كتاب وسائل الشيعة، «عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لا تدَعوا

(١) البقرة: ١٨٦.
(٢) الواقعة: ٨٥.
(٣) سورة ق: ١٦.
(٤) المطففين: ١٥.
(٥) الفجر: ٢٢.

قراءة سورة الرحمن والقيام بها؛ فإنها لا تقرّ في قلوب المنافقين (وتأتي بها) يوم القيامة في صورة آدمي في أحسن صورة وأطيب ريح حتى تقف من الله موقفًا لا يكون أحد أقرب إلى الله منها...»[١] ولم يكن المقصودُ بالقرب في قوله عليه السلام: «لا يكون أحد أقرب إلى الله منها...» القربَ المادي المشتملَ على الجهة والمكان، بل المقصود منه الرفعة والعلوّ والشأن، وكثيرًا ما يُستعار المحسوس للمعقول.

فالقرب في اللغة بمعنى الدنوّ[٢]، وهذا القرب تارةً يكون من مقولة المكان، وتارةً يلحظ فيه البعد الزماني، ولذلك يُقال: إنّ الشيء الفلاني (بلحاظ المكان) هو قريبٌ من الشيء المشخص الآخر، وإنّ المسافة بينهما تُقدَّر بكذا، أو يُقال: إنّ يوم أمس (بلحاظ الزمان) هو أقربُ إلى اليوم الذي يسبقه من يومنا الحالي. وهناك استعمالٌ شائعٌ آخر للفظ القرب حسب العرف العام، ومعناه هو كون الشخص مورد عنايةٍ واحترام، وله قيمةٌ ومنزلة لدى شخصٍ آخر، فيُقال: فلانٌ قريب من فلانٍ مثلًا «بالمنزلة والمكانة».

وغالبًا ما تُستعمل كلمة القرب (والبُعد كذلك) في معناها المادي؛ إذ عندما نستعمل هذه الكلمة في الأجسام ينتقل ذهننا تلقائيًّا إلى المعنى المادي للكلمة، ولكنْ بما أنّه ثبت أنّ الاصطلاحات الخاصة بالماديات لا تستعمل في ما فوق المادة مطلقًا، أو تُستعمل بضربٍ من المجاز، فلا نقول مثلًا عن الله تعالى: إنّه حالٌّ في مكان معيّن، أو إنّ له جسمًا ماديًّا وغير ذلك، فمن الطبيعي أنه لا يمكن تصوّر القرب والبُعد الماديين بالنسبة له جلّ شأنه، فهو تعالى

(١) وسائل الشيعة، ج٦، ص١٤٦.

(٢) لسان العرب، ج١، ص٦٦٥، مادة قرب.

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[(١)]، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الذي ليس لصفته حدٌّ محدودٌ ولا نعتٌ موجود، ولا وقتٌ معدود ولا أجل ممدود...»[(٢)]، وهو تعالى يحيط بالمكانِ والزمان، ولا يحويه مكانٌ ولا زمانٌ حتى يمكن أنْ يَتقرب الإنسان منه على فاصلٍ مكانيٍّ أو زماني خاص.

ونخلص من كلِّ ما تقدم أنّ استعمال كلمة القرب بالنسبة لله لا يمكن أن يُفهم منها معنى القرب الماديّ أبدًا، بل يُفهم منها القرب المعنوي قطعًا، فيتحصل من ذلك أنّ القرب من الله سبحانه وتعالى لا يقصد منه إلا القرب المعنويّ والروحي.

إذن، فالقرب المذكور في الرواية ليس قربًا ماديًّا وجسمانيًّا حتى يلزم كون الله تعالى في مكان يتحيَّز فيه، وإنما هو قربٌ معنوي، ومثله قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[(٣)]، فالدنوّ هو الاقتراب معنويًّا، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «لمّا عُرج بي إلى السماء دنوت من ربي عزّ وجلّ حتى كان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى..»[(٤)].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

---

(١) الأنعام:١٠٣

(٢) نهج البلاغة، الخطبة:١.

(٣) النجم:٩.

(٤) الأمالي، للشيخ الطوسي، ص٣٥٢.

فضل مسجد الكوفة على الأقصى في مفاتيح الجنان

المستشكل: أنصار البرقعي

الإشكال: يقول عباس القمي في (مفاتيح الجنان): «وَيُسْتَفَادُ من بعض الرّوايات فضل مسجد الكوفة على المسجد الأقصى في بيت المقدس» (مفاتيح الجنان، ص٥٠٢) هذا على رغم أن المسجد الأقصى قبلة المسلمين الأولى وبقعة يُقَدِّسُها أتباع حضرة إبراهيم عليه السلام جميعهم.

ونسأل: لماذا لم يُسْرِ اللهُ بنبيِّه إذًا إلى مسجد الكوفة -الأقرب والأكثر فضيلةً- بدلًا من الإسراء به إلى المسجد الأقصى؟ ولماذا لم يأتِ في القرآن أي ذِكْرٍ لمسجد الكوفة هذا؟!.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

وردت جملة من الروايات في بيان فضل المساجد، ومن بينها مسجد الكوفة والأقصى، فبعض العلماء استفاد منها فضل مسجد

الكوفـة عـلى الأقـصى، وآخـرون اسـتفادوا منهـا التسـاوي بالفضـل، فنقـرأ في كتـاب «منهـاج الصالحـين» للسـيد الخوئـي قدس سره قولـه: «تسـتحب الصـلاة في المسـاجد، وأفضلهـا المسـجد الحـرام، والصـلاة فيـه تعـدل ألـف ألـف صـلاة، ثـم مسـجد النبـي صلى الله عليه وآله وسلم والصـلاة فيـه تعـدل عـشرة آلاف صـلاة، ثـم مسـجد الكوفـة والأقـصى والصـلاة فيهـما تعـدل ألـف صـلاة»[١]، ويسـتفاد مـن قولـه: «ثـم مسـجد الكوفـة والأقـصى والصـلاة فيهـما تعـدل ألـف صـلاة» التسـاوي في الفضـل.

وقـد وافـق السـيد الخوئـي السـيد الخمينـي (قـدس سرهمـا)، ومـن المعاصريـن: السـيد السيسـتاني والحكيـم والهاشـمي الشـاهرودي، وكـذا السـيد تقـي القمـي في مبـاني منهـاج الصالحـين. وأمـا الشـيخ الوحيـد الخراساني في تعليقته على المنهاج فقد ذهب إلى أفضلية مسجد الكوفة عـلى الأقـصى حيـث عـبر: «بـل، ثـم الأقـصى»[٢].

والشـيخ القمـي رحمه الله أحـد الأعـلام الذيـن اسـتظهروا مـن الروايـات فضـل مسـجد الكوفـة عـلى المسـجد الأقـصى، وهـو ظاهـر قولـه: «وَيُسْـتَفَادُ مِـن بعـض الرّوايـات...».

إذن، فكلٌّ منهم بحسب استظهاره من الروايات استدل على ما ذهب إليه، إما تساوي الفضل بينهما أو المفاضلة، وهو أمر شائع ومعروف في الأبحاث الفقهية الاستدلالية، وواضح جدًّا أن الكاتب يجهله أو يتجاهله.

(١) منهاج الصالحين، للسيد الخوئي، ج٢١، ص١٤٧، مسألة:٥٦١.
(٢) منهاج الصالحين، الشيخ وحيد الخرساني، ج٢، ص١٦٥، مسألة: ٥٦٠.

وعلى فرض صحة استظهار القمي رحمه الله، فكلام الكاتب هذا من الجهل أو من المغالطة؛ إذ لا توجد ملازمة بين أولية الشيء والأفضلية والتقديس، فلربما يأتي شيء في مرتبة متأخرة، ويكون أقدس وأشرف وأفضل مما جاء في مرتبة متقدمة عليه، فآدم عليه السلام أول أنبياء الله، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم آخرهم، ومع ذلك فإنه أفضلهم وأشرفهم وأقدسهم، والقرآن الكريم خاتمة الكتب السماوية المنزلة، وهو أفضلها وأقدسها وأرفعها شأنًا وأعلاها رتبة، وبيت المقدس قبلة المسلمين الأولى - كما ذكر الكاتب - ومع ذلك أصبحت الكعبة - وهي القبلة الثانية لهم - أقدس وأشرف منه، ولا ينازع - في ما ذكرناه - منازعٌ حتى الكاتب نفسه، علمًا أنّ الكعبة قد بناها نبي الله آدم عليه السلام، ثم جدّد بناءها نبي الله إبراهيم عليه السلام، أما بيت المقدس، فكان ابتداءُ أمره بعد آلاف السنين، على يد آل داود.

وأما سؤال الكاتب لماذا لم يُسْرِ اللهُ بنبيِّه إذًا إلى مسجد الكوفة - الأقرب والأكثر فضيلةً - بدلًا من الإسراء به إلى المسجد الأقصى، فنقول:

ثمة ما هو مساوٍ للأقصى من حيث المباركة، وما هو أفضل وأقدس، بل لقد صرّح القرآن الكريم بذكره، وهو البقعة المباركة (الوادي المقدّس طوى)، التي كلم الله سبحانه وتعالى فيه موسى عليه السلام بقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[1]،

---

(١) طه:١٢.

حيث يرى معظم مفسّري الشيعة والسنة أنّ سبب تبرك البقعة هو لتكلّم الله مع النبي موسى عليه السلام، وأنه بُعث في هذا المكان بالنبوة[١]، كما يرى ذلك العلامة الطباطبائي من أنّ البقعة أصبحت مباركة؛ لأنّ الله تحدث مع موسى عليه السلام فيها، وتشرفت بهذا الحدث[٢].

وما هو مساوٍ من حيث المباركة كقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾[٦]. فهذه أماكن مباركة أشار إليها القرآن الكريم مثل المسجد الأقصى.

وعليه، فلو كانت المسألة تدور مدار الأفضلية والتقديس فإننا نردّ الإشكال نفسه على الكاتب ليجيب عنه، وهو: لماذا لم يُسْرِ الله بنبيه إلى البقعة المباركة (الوادي المقدس) الأكثر فضلًا وقدسيةً،

---

(١) التبيان، ج٧، ص٣٩٢؛ مجمع البيان، ج٧، ص٣٩٢؛ الميزان، ج١٦، ص٣٢؛ زاد المسير، ج٣، ص٣٨٣.
(٢) الميزان، ج ١٦، ص ٣٢.
(٣) الأعراف:١٣٧.
(٤) الأنبياء:٧١.
(٥) الأنبياء:٨١.
(٦) سبأ:١٨.

والمذكور صراحة في القرآن الكريم في قوله تعالى: **﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾**[1]، بدلاً من الإسراء به إلى المسجد الأقصى الذي قال عنه: **﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾**[2]؟!

وأما عن عدم ذكر مسجد الكوفة في القرآن الكريم، فنقول:

إنّ ذكْر الأشياء والتصريح بمسمَّياتها في القرآن لا يدلُّ على أنها أكثر قيمةً مما لم يرِد لها ذكرٌ إلا في أحاديث النبي ﷺ وأحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام، فإنه لم يقُل بذلك أحدٌ من علماء الأمة، بل لم يرِد دليلٌ على ذلك لا من الكتاب ولا السُّنة، ولو كان لبان، والواقع يُثبت خلاف ذلك، فقد ذكر القرآن الكريم كثيرًا من الأمور على نحوٍ من التفصيل، كأحوال الخلق وقصص الماضين، وغيرها من أمورٍ كثيرة، ولا يشك مسلمٌ في فضلها وقيمتها العالية، ولكنّ ما ثبت في السنّة من تفصيلٍ لكيفيّة الصلاة وعدد ركعاتها، وصفة الحج والسعي وعدد أشواط الطواف، ومقادير الزكاة وشروطها وغير ذلك مما هو أعظم شأنًا في الشريعة الإسلامية، وبيان السُّنة لكل ما لم يرد له ذكرٌ في القرآن حجةٌ آخذة بالأعناق لقوله سبحانه وتعالى: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**[3]. وقوله: **﴿من**

(١) طه:١٢.

(٢) الإسراء:١.

(٣) الحشر:٧.

يطع الرسول فقد أطاع الله﴾[1].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) النساء: ٨٠.

إثبات ولادة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

بعد المشاهدة والاستماع إلى مقطع الفيديو الذي ظهر فيه السيد كمال الحيدري مدّعيًا عدم ثبوت ولادة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف على وفق المبنى الرجالي للسيد الخوئي قدس سره، وعمد إلى ذكر الروايات الدالة على ولادة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في كتاب الكافي، وفصّل القول فيها، فقال: هذه الرواية ضعيفة السند، والرواة فيها مجاهيل، وقال أيضًا: هذا الراوي مجهول وذاك مجهول، وهذه الرواية الأولى نطرحها، والراوي في الرواية الثانية مجهول، فإذن نطرحها، والثالثة كذلك، والرابعة هكذا.. إلخ.

والجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

الخطوة الأولى: ادّعى الحيدري في مطلع كلامه أن ولادة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف لا تثبت على مبنى السيد الخوئي، ووعد ببيان ذلك، ولكنه -للأسف الشديد- لم ينقل لنا ولو نصًّا واحدًا عن السيد



الخوئـي قدس سره يثبـت فيـه أن هـذه المسـألة لا تثبـت عـلى وفـق مبانيـه، وغفـل أو تغافـل عـن أن السـيد الخوئـي قدس سره وإن كان يعتمـد في مبنـاه عـلى خـبر الثقـة إلا أنـه لم يهمـل الخـبر الـذي تعضـده القرائـن التـي يُتيقـن بواسـطتها صـدوره عـن المعصـوم، مـن قبيـل مـا ذكـره قدس سره في معجمـه عـن عـدم وجـود روايـة صحيحـة تثبت ملازمـة ابـن عبـاس لأهـل البيـت عليهم السلام، وأنـه مـن شـيعتهم عـلى رغـم القطـع بذلـك، حيـث قـال: «والأخبـار المرويّـة في كتـب السِّـيَرِ والروايـات الدالـة عـلى مـدح ابـن عبـاس وملازمتـه لعـليٍّ ومِـن بعـده الحسـن والحسـين عليهما السلام كثـيرة، وقـد ذكـر المحـدِّث المجلـسي قدس سره مقـدارًا كثـيرًا منهـا في أبـوابٍ مختلفـةٍ مـن كتابـه البحـار، مـن أراد الاطـلاع عليهـا فليرجـع إلى سـفينة البحـار في مـادة عبـس.

ونحن وإن لم نظفر برواية صحيحة مادحة، وجميع ما رأيناه من الروايات في إسنادها ضعف، إلا أن استفاضتها أغنتنا عن النظر في إسنادها، فمن المطمَأنّ به صدور بعض هذه الروايات عن المعصومين إجمالًا»[(١)].

إذن، فمبنى السيد الخوئي في الرواية التي بلغت حد الاستفاضة، أنها ترتقي إلى مرتبة الصحة وإن كان في جميع أسانيدها ضعف.

وقال قدس سره في «أجود التقريرات»: «فإذا كان الخبر مفيدًا للوثوق والاطمئنان، ولم يكن مما أعرض عنه المشهور فلا محالة يكون متيقَّن الحجِّيّة عند دوران الأمر بينه وبين غيره، وعلى تقدير تسليم عدم وجود قدر متيقَّن

(١) معجم رجال الحديث، ج١١، ص١٩١.

بالإضافة، فلا بد من التعدي إلى كل خبر يوثَق به؛ إذ حجّية الخبر المقيَّد بالقيود المذكورة متيقَّنة على الفرض، وفي أدلة حجّيّة الخبر الموثوق به ما يكون واجدًا لتلك القيود كخبر يحيى بن زكريا وغيره، وقد دل على حجّيّة كل خبر يوثَق به، فتكون حجّيّة الخبر الموثوق به متيقَّنة أيضًا»[1].

وقال أيضًا: «أما الشهرة الروائية فلا ريب أن كثرة رواية أصحاب الأئمة عليهم السلام لرواية معينة -ولو كان في سندها من لا يوثق به- يوجب الظن الاطمئناني باحتفافها بقرينةٍ، أوجبت اشتهارها بين الأصحاب لقرب عهدهم من زمان صدورها، فيكشف ذلك عن تثبُّتهم فيها ووقوفهم على ما يوجب اطمئنان النفس بصدورها، وحينئذ فالشهرة الروائية توجب دخول الخبر الضعيف غير الموثوق بصدوره في نفسه في الخبر الموثوق بصدوره، فيكون بذلك حجة»[2].

والمستفاد من كلامه قدس سره أن المبنى إمكان الاستفادة من الرواية الضعيفة في ما لو بلغت من الكثرة حد الاستفاضة، فكيف والحال أن روايات ولادة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف قد بلغت حد التواتر؟!

فلا معنى لقول الحيدري أن الرواية الأولى ضعيفة السند، والثانية ضعيفة السند لجهالة الراوي والثالثة هكذا، فإن هذا القول إنما يصح في الخبر غير المتواتر، أما في الخبر المتواتر فلا معنى لها.

الخطوة الثانية: أخذ الحيدري يستعرض كتبًا أخرى لا تمت بصلة

(١) أجود التقريرات ج٢ ص١٥٠.
(٢) أجود التقريرات، ج ٢، ص ١٥٩.

لمنهج السيد الخوئي قدس سره ومبناه الرجالي، نحو ما جاء في كتاب مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول للعلامة المجلسي، وكتاب مشرعة بحار الأنوار للشيخ محمد آصف المحسني، وكتاب صحيح الكافي لمحمد باقر البهبودي، ثم ذكر تضعيفاتهم للروايات الخاصة بولادة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في كتابي الكافي والبحار، وكان الأَولى بالحيدري أن يأتي على الأقل بنصٍّ واحد للسيد الخوئي، ويحاكمه عليه في هذا الموضوع أو غيره.

ومن جملة ما ادّعاه الحيدري أن ولادة الإمام المهدي لا تثبت حسب مباني الشيخ آصف محسني، وهو من تلامذة السيد الخوئي، وله كتاب مشرعة بحار الأنوار، عرض فيه روايات بحار الأنوار، وصحح بعضًا، وضعّف أغلبها بما في ذلك روايات ولادة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

والحق - الذي حاد عنه الحيدري - أن الشيخ آصف محسني وإن كانت مبانيه تختلف عن بعض مباني علماء الطائفة إلا أنه يوجد بعض المشتركات التي يمكن بها إثبات ولادة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف على مبانيه، فهو وإن كان يرى أن روايات الولادة التي في البحار لا يصح منها إلا روايتان بشروط، إلا أنه يمكن الجزم بولادة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، على وفق مبانيه، وذلك بمجموع تلك الروايات، فهو يرى أن الروايات إذا كان إسنادها ضعيفًا فهذا لا يعني طرحها كما فهم الحيدري، بل يمكن الأخذ بما اشتركت به هذه الروايات الدالة على ولادة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وإليك كلامه: «ولِنقْلِ الروايات غير المعتبرة مَفسَدةٌ وفائدتان: أما الفائدة الأولى: فهي أنه قد تصل غير المعتبرة إلى التواتر المعنوي أو الإجمالي، فيترتب عليه أثره، فيؤخذ بالقدر المتفق عليه بين الروايات كما نشير إليه في بعض الأبواب، وهو يجري في جملة من الأبواب

التي لم نشر إليها، فتفطن. وأما الفائدة الثانية: فهي فرض احتفافها بقرينة موجبة للاطمئنان بصدورها، فيُعتمد عليها لحجّيّة الاطمئنان عند العقلاء كحجّيّة العلم عند العقل، والشرع لم يردع عنه»[(١)].

ويقول حيدر حب الله في كتابه «نظرية السنة»: «ويمكن تكوين صورة وافية عن رؤية آصف محسني لبحار الأنوار عبر النقاط التالية: النقطة الأولى: أن البحث في مشرعة بحار الأنوار وتقويمه نقديًّا بحث سَنَديّ بحت، أي عندما يقال: الرواية غير معتبرة، يقصد بذلك أنها غير وافية لشروط الحجّيّة السَّنَدية المقرَّرة في علمي أصول الفقه والرجال، وذلك لا يمنع من أن يكون لذكر الروايات غير المعتبرة فائدة، ذلك أن تراكم النصوص -ولو كانت ضعيفة- قد يؤدي أحيانًا إلى حصول التواتر، بل قد يكون نص ضعيف واحد محتفًّا بقرائن وشواهد توجب اعتباره وتقويته، ومعنى ذلك أن نقد روايات البحار في كتاب المشرعة ليس نقدًا نهائيًّا، بل هو نقد نِسبي، أي بالنسبة للسند وتقويمه من ناحيتي الرجال والأصول»[(٢)].

الخطوة الثالثة: اعتراف علماء المسلمين بولادة الإمام المهدي الحجّة بن الحسن عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

اعتراف أهل السنّة بولادة الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري عليه السلام هو أمر ثابت ومفروغ منه، وسنذكر هنا طريقين لإثبات الولادة الميمونة بهما:

(١) مشرعة بحار الأنوار، ج١، ص٩.
(٢) نظرية السنة في الفكر الإمامي، ص٥٧٩.

الأول: شهادة علماء الأنساب عندهم بهذه الولادة.

الثاني: اعتراف علماء أهل السنة أنفسهم بالولادة.

أمّا الطريق الأول، فقد شهد علماء الأنساب والمتخصصون منهم بولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، وأنّه ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ونذكر منهم بحسب التسلسل الزمني:

١- النسابة الشهير أبو نصر سهل بن عبد الله بن داود بن سليمان البخاري، من أعلام القرن الرابع الهجري، والذي كان حيًّا سنة (٣٤١هـ)، وهو من أشهر علماء الأنساب المعاصرين لغيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف الصغرى التي انتهت سنة ٣٢٩ هـ.

قال في «سر السلسلة العلوية»: «وولد علي بن محمد التقي عليه السلام: الحسن بن علي العسكري عليه السلام من أُم ولد نوبيّة تدعى: ريحانة، وولد سنة إحدى وثلاثين ومائتين، وقبض سنة ستين ومائتين بسامراء، وهو ابن تسع وعشرين سنة.. ووَلد عليُّ بن محمد التقي عليه السلام جعفرًا، وهو الذي تسميه الإمامية جعفر الكذاب، وإنّما تسميه الإمامية بذلك؛ لادعائه ميراث أخيه الحسن عليه السلام دون ابنه القائم الحجة عليه السلام. لا طعن في نسبه».

٢-النسابة العمري المشهور من أعلام القرن الخامس الهجري، والذي قال ما نصّه في «المجدي في أنساب الطالبيين»: «ومات أبو محمد عليه السلام ووَلده من نرجس عليها السلام معلوم عند خاصة أصحابه وثقات أهله، وسنذكر حال ولادته والأخبار التي سمعناها بذلك، وامتُحن المؤمنون بل كافة الناس بغيبته، وشره جعفر بن علي إلى مال أخيه وحاله، فدفع أنْ يكون له ولد،

وأعانه بعض الفراعنة على قبض جواري أخيه»[(١)].

٣- الفخر الرازي الشافعي (ت: ٦٠٦ هـ)، قال في كتابه «الشجرة المباركة في أنساب الطالبية» تحت عنوان: أولاد الإمام العسكري عليه السلام ما هذا نصه: «أما الحسن العسكري الإمام عليه السلام فله ابنان وبنتان: أما الابنان، فأحدهما: صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، والثاني موسى، درج في حياة أبيه. وأما البنتان: ففاطمة، درجت في حياة أبيها، وأم موسى درجت أيضًا». ا.هـ

٤- النسابة محمد الحسيني اليماني الصنعاني، من أعيان القرن الحادي عشر.. ذكر في المشجرة التي رسمها لبيان نسب أولاد أبي جعفر محمد بن علي الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام [روضة الألباب لمعرفة الأنساب]، وتحت اسم الإمام علي التقي المعروف بالهادي عليه السلام خمسة من البنين، وهم: الإمام العسكري، الحسين، موسى، محمد، علي. وتحت اسم الإمام العسكري عليه السلام مباشرة كتب: (محمد بن) وبإزائه: (منتظر الإمامية). ا.هـ

٥ـ محمد أمين السويدي (ت:١٢٤٦ هـ) قال في «سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب»: «محمد المهدي: وكان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين، وكان مربوع القامة، حسن الوجه والشَّعر، أقنى الأنف، صبيح الجبهة».

فهذه أقوال جملة من علماء الأنساب المشهورين على ممر القرون، يثبتون الولادة الميمونة للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وأنّه ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام...

(١) المجدي في أنساب الطالبيين: ١٣٠.

وأما اعتراف علماء أهل السنة بهذه الولادة فحدّث ولا حرج، فقد أحصى السيد ثامر العميدي في كتابه «دفاع عن الكافي» ١٢٨ عالمًا من علماء أهل السنة من فقهاء ومحدّثين ومفسرين وغيرهم، وعلى ممر القرون، ممن اعترف بهذه الولادة المباركة.

ونذكر هنا جملة منهم مع الإشارة إلى المصدر والصفحة فقط، وحسب التسلسل الزمني:

١- ابن الأثير الجزري (ت:٦٣٠ هـ) في كتابه (الكامل في التاريخ ٧:٢٧٤، آخر حوادث سنة ٢٦٠ هـ.).

٢- ابن الخشّاب البغدادي المؤرّخ (ت: ٦٤٣ هـ) في (تاريخ مواليد الأئمّة: ٦).

٣ - محمّد بن طلحة الشافعي (ت: ٦٥٢ هـ) في (مطالب السَّؤول في مناقب آل الرسول:٨٨).

٤- محمّد بن يوسف الكنجي الشافعي (ت: ٦٥٨ هـ) في (البيان في أخبار صاحب الزمان: ٣٣٦).

٥-ابن خلّكان (ت: ٦٨١ هـ) في (وفيات الأعيان ٤:١٧٦، الرقم ٥٦٢).

٦ - شمس الدين الذهبي (ت:٧٤٨ هـ) في كتبه: العبَر، و تاريخ دول الإسلام، و سير أعلام النبلاء (العبر ٣:٣١. تاريخ دول الإسلام ١١٣ حوادث سنوات (٢٥١ ـ ٢٦٠ هـ). سير أعلام النبلاء ١٣:١١٩، الرقم ٦٠).

٧- ابن الوردي (ت:٧٤٩ هـ) في ذيل تتمّة المختصر، المعروف بـ تاريخ ابن الوردي (نقل ذلك عنه الشبلنجي في نور الأبصار ١٨٦).

٨- ابن الصبّاغ المالكي (ت: ٨٥٥ هـ) في (الفصول المهمة: ٢٧٣).

٩- عبدالوهّاب الشعراني (ت: ٩٧٣ هـ) في اليواقيت والجواهر (اليواقيت والجواهر ٣:١٤٥).

١٠- ابن حجر الهيتمي الشافعي (ت:٩٧٤ هـ) في (الصواعق المحرقة: ٢٠٧).

١١- الشبراوي الشافعي (ت:١١٧١ هـ) في (الإتحاف بحبّ الأشراف:٦٨).

١٢- القندوزي الحنفي (ت: ١٢٩٣ هـ) في (ينابيع المودّة ٣:٣٠١ ـ ٣٠٦، الباب ٧٩).

١٣- مؤمن بن حسن الشبلنجي (ت:١٣٠٨ هـ) في (نور الأبصار: ١٨٦).

١٤- خير الدين الزركلي (ت:١٣٩٦ هـ) في كتابه (الأعلام ٦ :٨٠.).

وارجع إلى بقية الأسماء (وهي بالعشرات) في المصدر المتقدم.

ومن العلماء المتقدمين ممن نصّ على أنّ الإمام محمد بن الحسن العسكري هو المهدي المنتظر نفسه، نذكر منهم:

١- محي الدين بن عربي، على ما نقله عنه الشعراني الشافعي في

«اليواقيت والجواهر»، حيث قال: «وعبارة الشيخ محيي الدين في الباب السادس والستين وثلاثمائة من الفتوحات: واعلموا أنّه لابدّ من خروج المهدي عليه السلام، ولكن لا يخرج حتى تمتلئ الأرض جورًا وظلمًا فيملؤها قسطًا وعدلًا، ولو لم يكن من الدنيا إلّا يوم واحد طوّل الله تعالى ذلك اليوم حتى يلي ذلك الخليفة، وهو من عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، من ولد فاطمة عليها السلام، وجدّه الحسين بن علي بن أبي طالب، ووالده حسن العسكري ابن الإمام علي النقي...»[(١)]. ا.هـ

٢- محمد بن طلحة الشافعي - الذي يصفه الذهبي في «سير أعلام النبلاء» بالعلامة الأوحد عند ترجمته له - قال في كتابه «مطالب السؤول»: «أبو القاسم محمد بن الحسن الخالص بن عليّ المتوكل بن القانع بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الزكي بن علي المرتضى أمير المؤمنين بن أبي طالب، المهدي، الحجة، الخلف الصالح، المنتظر عليهم السلام ورحمة الله وبركاته»[(٢)]. ا.هـ

٣- سبط ابن الجوزي الحنبلي، قال في «تذكرة الخواص» عن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف: «هو محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وكنيته أبو عبد الله، وأبو القاسم، وهو الخلف الحجة، صاحب الزمان، القائم، والمنتظر، والتالي، وهو آخر الأئمة»[(٣)]. ا.هـ

(١) اليواقيت والجواهر، ج١، ص١٦١.
(٢) مطالب السؤول، ص٤٨٠.
(٣) تذكرة الخواص، ج٢، ص٥٠٧.

٤- شمس الدين محمد بن طولون الحنفي مؤرخ دمشق (ت:٩٥٣ هـ) قال في كتابه»الأئمة الاثنا عشر» عن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف: «كانت ولادته رضي الله عنه يوم الجمعة، منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، ولما توفي أبوه المتقدم ذكره (رضي الله عنهما) كان عمره خمس سنين...

(ثم ذكر الأئمة الاثني عشر عليهم السلام في قصيدة له، وقال في آخرها:)

عسكريٌّ الحسنُ المطهَّرُ محمد المهديُّ سوف يظهرُ»[1].

٥- نور الدين علي بن محمد بن الصباغ، الفقيه المالكي (انظر ترجمته في الأعلام للزركلي)، قال في أول الفصل الثاني عشر من كتابه «الفصول المهمة»: «في ذكر أبي القاسم الحجة، الخلف الصالح، ابن أبي محمد الحسن الخالص، وهو الإمام الثاني عشر، وتاريخ ولادته، ودلائل إمامته، وطرفًا من أخباره، وغيبته، ومدة قيام دولته الكريمة، وذكر كنيته، ونسبه، وغير ذلك مما يتصل به رضي الله عنه وأرضاه»[2]. ا.هـ

٦- أحمد بن يوسف بن سنان القرماني الدمشقي (ت:١٠١٩ هـ) قال في كتابه «أخبار الدول وآثار الأُوَل» في الفصل الحادي عشر: في ذكر أبي القاسم محمد الحجة الخلف الصالح:

«وكان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين، آتاه الله فيها الحكمة كما أوتيها يحيى عليه السلام صبيًّا. وكان مربوع القامة، حسن الوجه والشعر، أقنى الأنف، أجلى الجبهة... واتفق العلماء على أنّ المهدي هو القائم في آخر الوقت،

(١) الأئمة الاثنا عشر، محمد بن طولون الصالحي، ص١١٧.
(٢) الفصول المهمة، ج٢، ص١٠٩٥.

وقد تعاضدت الأخبار على ظهوره، وتظاهرت الروايات على إشراق نوره، وستسفر ظلمة الأيام والليالي بسفوره، وينجلي برؤيته الظلم انجلاء الصبح عن ديجوره، ويسير عدله في الآفاق، فيكون أضوأ من البدر المنير في مسيره»[(١)]. ا.هـ

ومن هؤلاء الأعلام، المتقدّم ذكرهم، ممن صرّح بغيبته عجّل الله تعالى فرجه الشريف وبقائه حيًّا إلى أن يأذن الله بظهوره المبارك... قال العلامة الأوحد محمد بن طلحة الشافعي في كتابه «مطالب السؤول في مناقب آل الرسول»: «وأمّا عمره: فإنه ولد في أيام المعتمد على الله، خاف فاختفى وإلى الآن، فلم يمكن ذكر ذلك؛ إذ مَن غاب -وإن انقطع خبره- لا توجب غيبته وانقطاع خبره الحكم بمقدار عمره ولا بانقضاء حياته، وقدرة الله واسعة وحكمه وألطافه بعباده عظيمة عامة، ولوازم عظماء العلماء أن يدركوا حقائق مقدوراته وكنه قدرته، لم يجدوا إلى ذلك سبيلًا، ولا نقل طرف تطلعهم إليه حسيرًا وحده كليلًا، وأملى عليهم لسان عجزهم عن الإحاطة به، وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا.

وليس ببدع ولا مستغرب تعمير بعض عباد الله المخلصين، ولا امتداد عمره إلى حين، فقد مد الله تعالى أعمار جمع كثير من خلقه من أصفيائه وأوليائه ومن مطروديه وأعدائه، فمن الأصفياء: عيسى عليه السلام، ومنهم الخضر، وخلق آخرون من الأنبياء، طالت أعمارهم، حتى جاز كل واحد منهم ألف سنة أو قاربها كنوح عليه السلام وغيره. وأما من الأعداء المطرودين: فإبليس، وكذلك الدجال، ومن غيرهم كعاد الأولى، كان فيهم من عمره ما يقارب الألف،

(١) أخبار الدول وآثار الأول، ج١، ص٣٥٣.

وكذلك لقمان صاحب لُبَد. وكل هذه لبيان اتساع القدرة الربانية في تعمير بعض خلقه، فأي مانع يمنع من امتداد عمر الصالح الخلف الناصح إلى أن يظهر، فيعمل ما حكم الله له به؟»[١]. ا.هـ

وهذا المعنى من البيان الذي صدع به العلامة محمد بن طلحة الشافعي هنا هو الموافق عمليًّا لما صرّح به علماء الأنساب في حقّ الإمام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام... فها هو النسابة العمري المشهور من أعلام القرن الخامس الهجري يصرّح في كتابه «المجدي في أنساب الطالبيين» ويقول ما نصّه: «ومات أبو محمد عليه السلام وولده من نرجس عليها السلام معلوم عند خاصة أصحابه وثقات أهله، وسنذكر حال ولادته والأخبار التي سمعناها بذلك، وامتُحن المؤمنون بل كافة الناس بغيبته، وشره جعفر بن علي إلى مال أخيه وحاله، فدفع أنْ يكون له ولد، وأعانه بعض الفراعنة على قبض جواري أخيه»[٢].ا.هـ

وها هو الفخر الرازي -الذي نجده بعد أن يثبت وجود أبناء وبنات للإمام الحسن العسكري، ينص على وفاتهم في حياة أبيهم واحدًا واحدًا- يترك التعرض لذكر وفاة الإمام محمد بن الحسن بالمرة، ولا يشير إلى شيء من ذلك البتة، قال في كتابه الشجرة المباركة في أنساب الطالبية تحت عنوان: أولاد الإمام العسكري عليه السلام ما نصّه: «أمّا الحسن العسكري الإمام عليه السلام فله ابنان وبنتان: أما الابنان، فأحدهما: صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف، والثاني موسى، درج في حياة أبيه. وأما البنتان: ففاطمة، درجت في

(١) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، ص٤٨٩.

(٢) المجدي في أنساب الطالبيين، ص١٣٠.

حياة أبيها، وأم موسى درجت أيضًا»[١]. ا.هـ

وها هو نسابة المدينة الشريف أنس بن يعقوب الكتبي يقول في كتابه «الأصول في ذرية البضعة البتول»: «فالإمام المهدي اختفى في سن مبكر، والأمر مسلم بين السنة والشيعة على اختفائه وغياب أخباره وعدم ظهوره.

فقد ولد المهدي بسرّ من رأى في ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين من الهجرة النبوية المباركة، وهو وحيد أبيه، لم يعقب الحسن غيره، وقد أعقبه في آخر حياته، وأمه أم ولد، يقال لها نرجس... ومن المؤرخين من نفى عقب أبيه الزكي العسكري، وهذا إطلاق في القول بما يوجب أن لا يُعتدّ به، فالحسن العسكري بن علي الهادي عقبه مسلّم في ابنه محمد المهدي»[٢]. ا.هـ

وقد أحصى الشيخ مهدي فقيه إيماني في كتابه (المهدي في نهج البلاغة) ما يزيد عن (١٠٠) شخصيّة من علماء أهل السنّة، صرّحت بولادته عجل الله تعالى فرجه الشريف، فارجع إلى ما أفاده.

أما الروايات من مختلف المصادر السنية والشيعية معًا، فقد أحصى بعض المحققين المعاصرين (آية الله العظمى الشيخ الصافي الكلبايكاني) أكثر من ثلاثة آلاف وسبعمائة رواية وردت بحقّ الإمام المهدي عليه السلام في مختلف أحواله، من مختلف المصادر، وهي تدل بالدلالة المطابقية والالتزامية -وبعد الجمع العرفي بين المرويات- على ولادته عجل الله تعالى فرجه الشريف، وإليك تفصيلها:

(١) الشجرة المباركة في أنساب الطالبية، ص٧٩.
(٢) الأصول في ذرية البضعة البتول، ص٩٩.

١- الروايات التي تبشّر بظهوره عجل الله تعالى فرجه الشريف: ٦٥٧رواية.

٢- الروايات التي تبيّن أنّه يملأ الأرض عدلًا وقسطًا: ١٢٣رواية.

٣- الروايات التي تثبّت أنّ المهدي المنتظر من أهل البيت عليهم السلام: ٣٨٩ رواية.

٤- الروايات التي تبيّن أنّه من ولد أمير المؤمنين عليه السلام: ٢١٤رواية.

٥- الروايات التي تثبّت أنّه من ولد فاطمة الزهراء عليها السلام: ١٩٢رواية.

٦- الروايات التي تقول: إنّه من ولد الإمام الحسين عليه السلام: ١٨٥رواية.

٧- الروايات التي تقول: إنه التاسع من ولد الإمام الحسين عليه السلام: ١٤٨رواية.

٨- الروايات التي تقول: إنه من ولد علي بن الحسين عليهما السلام: ٨٥ رواية.

٩- الروايات التي تقول: إنه من ولد محمّد الباقر عليه السلام: ١٠٣روايات.

١٠- الروايات التي تقول: إنه من ولد الصادق عليه السلام: ١٠٣روايات.

١١- الروايات التي تقول: إنه السادس من ولد الصادق عليه السلام: ٩٩رواية.

١٢- الروايات التي تقول: إنه من ولد موسى بن جعفر عليهما السلام: ١٠١رواية.

١٣- الروايات التي تقول: إنه الخامس من ولد موسى بن جعفر عليهما السلام: ٩٨رواية.

١٤- الروايات التي تقول: إنه الرابع من ولد علي بن موسى الرضا عليه السلام: ٩٥رواية.

١٥- الروايات التي تقول: إنه الثالث من ولد محمّد بن علي التقي عليه السلام: ٩٠رواية.

١٦- الروايات التي تقول: إنه من ولد علي الهادي عليه السلام: ٩٠رواية.

١٧- الروايات التي تقول: إنه ابن أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام: ١٤٦رواية.

١٨- الروايات التي تقول: إنه الثاني عشر من الأئمّة وخاتمهم: ١٣٦ رواية.

١٩- في ولادته عجل الله تعالى فرجه الشريف وتأريخها وبعض حالات أمّه: ٢١٤ رواية.

٢٠- في أنّ له غيبتين: ١٠ روايات.

٢١- في أنّ له غيبة طويلة: ٩١ رواية.

٢٢- في أنّه طويل العمر جدًّا: ٣١٨ رواية[1].

وممن صرّح بتواتر روايات ولادته عجل الله تعالى فرجه الشريف جملة كبيرة من علماء الشيعة الإمامية، نشير إلى بعضهم:

قال العلامة الحلّي في «منهاج الكرامة»: «وقد تواترت به الشيعة في البلاد

(١) ينظر: منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر، ثلاثة مجلدات، آية الله العظمى لطف الله الصافي الكلبايكاني.

المتباعدة خلفًا عن سلف من النبي ﷺ أنّه قال للحسين عليه السلام: «هذا إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمة تسعة، تاسعهم قائمهم، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، يملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما ملئت ظلمًا وجورًا»[(١)].

وجاء في كتاب «الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف» لابن طاووس: «ونقل إلينا سلفنا نقلًا متواترًا أنّ المهدي عليه السلام المشار إليه ولد ولادة مستورة»[(٢)].

وقد أقرّ العلامة المجلسي في «بحار الأنوار» ما قاله السيد ابن طاووس في هذا الجانب[(٣)].

وفي كتاب الأربعين للشيخ الماحوزي: «إجماع الشيعة رضوان الله عليهم، وتواتر أخبارهم بولادته صلوات الله عليه وعلى آبائه، على نحو ولادة إبراهيم وموسى عليهما السلام، وغيرهما مما اقتضت المصلحة أن تستر ولادته، وقد استفاضت الأخبارعنهم باسمه ونسبه...»[(٤)].

وفي كتاب «عقائد الإمامية» للشيخ المظفر: «المصلح المهدي هو شخص معين معروف ولد سنة ٢٥٦ هجرية، ولا يزال حيًّا، هو ابن الحسن العسكري، واسمه محمد. وذلك بما ثبت عن النبي وآل البيت من الوعد به وما تواتر عندنا من ولادته واحتجابه»[(٥)].

---

(١) منهاج الكرامة، ص ١٧٧.
(٢) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ص ١٨٣.
(٣) انظر: بحار الأنوار، ج٥١، ص ١٠٧.
(٤) الأربعون، ص ٢١١.
(٥) عقائد الإمامية، ص ٧٨ و٧٩.

وفي كتاب «محاضرات في الإلهيات» للشيخ السبحاني: «كلّ من كان له إلمام بالحديث، يقف على تواتر البشارة عن النبي وآله وأصحابه بظهور المهدي في آخر الزمان (إلى أن يقول) معتقد الشيعة -بفضل الروايات الكثيرة- هو أنّه ولد في سرّمن رأى عام (٢٥٥) بعد الهجرة النبوية، وغاب بأمر الله سبحانه وتعالى سنة وفاة والده عام (٢٦٠ هـ) وسوف يظهره الله سبحانه وتعالى ليتحقق عدله»[١].

وفي «تنزيه الشيعة الاثني عشرية» لأبي طالب التجليلي التبريزي: «أنه قد وردت نصوص متواترة على أن المهدي الذي يملأ الأرض قسطًا وعدلًا هو ابن الحسن العسكري عليهما السلام، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في التصريح عليه ستون نصًّا، وعن أبيه الحسن العسكري عليه السلام في التصريح على ولده المهدي اثنان وأربعون نصًّا، وعن سائر الأئمة عليهم السلام نصوص كثيرة، فراجع»[٢].

وفي «مقالات تأسيسية» للسيد الطباطبائي: «أنّ بين أيدينا أخبارًا متواترة من طريق العامة والخاصّة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة أهل البيت عليهم السلام تحدثنا عن حياة الإمام الغائب وسيرته، ومن معالم هذه السيرة يتبين أن هذا الإمام ابن الإمام الحسن بن علي العسكري.. ولد بسامراء»[٣].

وأيضًا ممن صرح بتواتر غيبته عجل الله تعالى فرجه الشريف -والتي يستفاد منها بالدلالة الالتزامية ولادته عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ لأنّ الغيبة هي فرع الولادة- جملة كبيرة من علماء الشيعة الإمامية، نذكر بعضهم:

قال النعماني في كتابه «الغيبة»: «هذه الروايات التي قد جاءت

(١) محاضرات في الإلهيات، ص ٣٨٩ و٣٩٠.
(٢) تنزيه الشيعة الاثني عشرية، ج ٢، ص ٥٦١.
(٣) مقالات تأسيسية، ص ٢٧١.

متواتـرة تشـهد بصحّـة الغيبـة...»[١].

وفي كتـاب «الغيبـة» للشـيخ الطـوسي: «والأخبـار في هـذا المعنـى [أي الغيبـة] أكثـر مـن أن تحـصى، ذكرنـا طرفًـا منهـا لئـلا يطـول بهـا الكتـاب... عـلى أنّ هـذه الأخبـار متواتـر بهـا لفظًـا ومعنـى»[٢].

وفي «كـمال الديـن» للشـيخ الصـدوق: «فالتصديـق بالأخبـار يوجـب اعتقـاد إمامـة ابـن الحسـن عليه السلام عـلى مـا شرحـت، وأنّـه قـد غـاب كـما جـاءت الأخبـار في الغيبـة، فإنّهـا جـاءت مشـهورة متواتـرة»[٣].

وفي «منتخـب الأنـوار المضيئـة» للسـيد بهـاء الديـن النجفـي: «وقـد تواتـرت الأخبـار، ورويـت الآثـار عـن الله تعـالى والنبـي والأئمـة الأحـد عـشر الأطهـار، بالنـصّ عـلى إمامتـه وظهـوره بعـد غيبتـه»[٤].

وفي تـاج المواليـد «المجموعـة» للشـيخ الطـبرسي، يقـول: «وأمّـا غيبته صلـوات الله عليـه فقـد تواتـرت الأخبـار بهـا قبـل ولادتـه، واسـتفاضت بدولتـه قبـل غيبتـه، وهـو صاحـب السـيف مـن أئمـة الهـدى عليهم السلام، والمنتظـر لدولـة الإيـمان»[٥]. ا.هـ.

فهـا هـي أدلتنـا عـلى ولادة إمامنـا المهـدي عجل الله تعالى فرجه الشريف واسـتمرار وجـوده وغيبتـه مـن طـرق الفريقـين معًـا تشـهد بالـولادة والغيبـة، فبـأي حديـث

---

(١) الغيبة، للنعماني، ص ١٦٣و١٦٤.
(٢) الغيبة، للطوسي، ص ١٦٧-١٧٤.
(٣) كمال الدين، ص ٣٩.
(٤) منتخب الأنوار المضيئة، ص ٤٥.
(٥) تاج المواليد، ص ٥٦.

بعد هذا التواتر يؤمنون؟!!

الخطوة الرابعة: إثبات وجود المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف من حديث الثقلين.

إنّ حديث الثقلين «الكتاب والعترة» قد أشار بكلّ وضوح إلى تلازم الاثنين معًا -الكتاب والعترة- تلازمًا وجوديًّا إلى يوم القيامة، فقد نصّ على نحو واضح وصريح على أنّهما لا يفترقان إلى يوم القيامة.

حيث قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[1].

وحين قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله، حبل ممدود ما بين الأرض والسماء، وعترتي أهل بيتي، وأنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»[2].

وعند عودتنا لشرّاح الحديث من علماء أهل السنّة وجدناهم يصرّحون بوضوح أنّ هذا الحديث يستفاد منه وجود شخص مؤهل للتمسك به من أهل البيت إلى يوم القيامة.

قال المناوي الشافعي في «فيض القدير» في شرح حديث الثقلين:

---

(١) مختصر صحيح الجامع الصغير للسيوطي والألباني، ح ١٧٢٦ - ٢٤٥٨.

(٢) صحيح الجامع الصغير للألباني، ج ١، ص ٤٨٢؛ مسند أحمد بن حنبل، برقم: ٢١٦٥٤، تصحيح شعيب الأرنؤوط.

«تنبيه: قال الشريف - يقصد الحافظ السمهودي -: هذا الخبر يفهم وجود من يكون أهلًا للتمسك به من أهل البيت والعترة الطاهرة في كل زمن إلى قيام الساعة حتى يتوجه الحث المذكور إلى التمسك به، كما أن الكتاب كذلك؛ فلذلك كانوا أمانًا لأهل الأرض، فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض»[(١)]. ا.هـ.

وبهذا المعنى أيضًا صرّح العلامة الزرقاني المالكي في «شرح المواهب»، قال: «قال السمهودي: هذا الخبر - أي: حديث الثقلين - يفهم وجود من يكون أهلًا للتمسك به من عترته في كلّ زمن إلى قيام الساعة حتّى يتوجّه الحث المذكور على التمسك به، كما أنّ الكتاب كذلك؛ فلذا كانوا أمانًا لأهل الأرض، فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض». ا.هـ [(٢)].

وعن ابن حجر في «الصواعق المحرقة»، قال: «وفي أحاديث التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع مستأهل فيهم للتمسك به إلى يوم القيامة، كما أنَّ الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أمانًا لأهل الأرض كما سيأتي، ويشهد لذلك الخبر السابق: "في كلّ خلف من أُمتي عدول من أهل بيتي"»[(٣)]. ا.هـ.

وعليه، فمن أنكر وجود الإمام المهدي عليه السلام في هذا الزمان نطالبه بذكر إمام حيّ من أهل البيت مؤهل لأن تتمسك الأمّة به، فإذا

(١) فيض القدير، ج٣، ص ١٥.
(٢) شرح المواهب، ج ٧، ص ٨.
(٣) الصواعق المحرقة، ج ٢، ص ٤٤٢.

أنكر وجود مثل هذا الإمام فمعناه أنه حكم على حديث الثقلين بالكذب وعدم الصحّة، وهذا لا يرضاه العلم والعقل؛ لثبوت الحديث المذكور بالاستفاضة والتواتر عند علماء المسلمين، ولصحّة الفقرة الواردة فيه «وأنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض» كما أسلفنا، فلا مناص من القول بوجود الإمام المهدي عليه السلام في زماننا هذا، كما أثبته بالتواتر علماء الشيعة، وكما نصّ على ولادته وبقائه حيًّا جمع من علماء أهل السنّة أيضًا.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



هل يصحّ الاعتماد على القرآن الكريم وحده وبعضًا من السنّة الشريفة وترك ما يقوله العلماء؟!

المستشكل: باقر حسن

الإشكال: أقرأُ كلامًا للبعض يدعو فيه إلى الاعتماد على القرآن الكريم وحده في استنباط الأحكام، وبعضهم يضيف إليه أخذ ما يعجبه من السنّة الشريفة وترك البعض الآخر، ويجعل الأخذ عن علماء الدين هو أخذ عن أنداد لله.. هل يصحّ ذلك؟!

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

هذا الكلام غير مقبول شرعًا وعرفًا وعقلائيًّا -كما سنبيّن إن شاء الله- وهو يتضمن ثلاثة مطالب:

الأوّل: هل يصحّ الاعتماد على القرآن الكريم وحده؟

الثاني: هل يصحّ الانتقاء من السنّة الشريفة بما يعجب الإنسان وترك ما لا يعجبه؟

الثالث: هل الأخذ عن علماء الدين يكون بمثابة الأخذ عن أنداد لله؟

أمّا المطلب الأوّل فالرد يأتي عليه من القرآن الكريم نفسه الذي أوجب الأخذ عن السنّة الشريفة كما أوجب الأخذ عن القرآن الكريم.

يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿مَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1].

فهنا نجد الأمر الإلهي واضحًا جدًّا بلزوم الأخذ من السنة الشريفة بما تأمر به وتنهى عنه، وأنّ المخالف لذلك يتعرّض إلى عقاب شديد، والآية مطلقة لم تُقيَّد بأخذ القرآن فقط عن النبيّ ﷺ، فتكون الدلالة تامّة أصوليًّا من هذه الناحية.

وهكذا وردت آيات أخرى كثيرة في هذا الجانب لا يمكن غضّ الطرف عنها أو طرحها، فضلًا عمّا ورد في السنّة الشريفة نفسها من النهي الصريح عن الاعتماد على القرآن وحده وترك السنّة الشريفة، لكننا لا نوردها هنا حتى لا يقال: إنها تلزم الدور في الاحتجاج (الدور في الاصطلاح توقّف إثبات الشيء على نفسه)، وإن كانت هي بنفسها تفيد التظافر والتواتر بما ينفي عنها دعوى الدور هذه، ويكفينا ما ورد في القرآن الكريم نفسه.

أمّا المطلب الثاني، فنقول في الإجابة عليه باختصار: الأخذ

(١) الحشر: ٧.

بالسنّة الشريفة، كما هو الشأن في الأخذ بأيّ خبر يأتينا في هذه الدنيا -الأعمّ من الخبر الديني- خاضع لمنظومة عقلائية عرفية مفادها التأكد من صحّة الخبر أوّلًا ومعرفة المراد الجدّي للمتكلّم ثانيًا، فقد يتكلّم المتكلّم بكلام عام أو مطلق في مناسبة ما ثمَّ يذكر التفاصيل في مناسبة أخرى، فهنا يجمع العرف بين كلاميه حتّى يخرج بالمراد الجدّي لبياناته، فهذه الضوابط ونحوها هي ضوابط عرفية عقلائية تلزم كلّ إنسان إذا أراد أن يأخذ بأيّ خبر في هذه الدنيا ويعمل به.

هذا من حيث كبرى الأخذ بالأخبار، ومنه الأخذ بالسنّة الشريفة، أمّا الصغرى (وهي الأخذ بما يعجب المسلم المكلّف من السنّة الشريفة وترك ما لا يعجبه)، فهذا مردود على صاحبه بنصّ الآية الكريمة المتقدّمة التي أوجبت الأخذ مطلقًا بالسنّة الشريفة، ولم ترخّص للمكلّف أخذ ما يعجبه منها وترك ما لا يعجبه، وقد نهى المولى سبحانه وتعالى عن التبعيض في الأخذ، بمعنى أن يأخذ الإنسان بعضًا من القرآن الكريم أو السنّة الشريفة ويترك البعض الآخر، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ۞ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]. ومعنى كلمة (عضين) في الآية المباركة: أنّه يجعل القرآن الكريم أقسامًا مجزأة، يؤمن ببعض، ويكفر بالبعض الآخر، فأمثال هؤلاء سيتعرضون للسؤال الشديد من قبل الله عزّ وجلّ لتلاعبهم بأحكامه.

وأمّا المطلب الثالث (الأخذ عن علماء الدين هو أخذ عن أنداد

(١) الحجر: ٩١- ٩٣.

لله)، نقول: للأسف هذا فهم سطحي للمراد من النِّدّية لله، فالنِدّ في اللغة هو المِثل والنظير، ولكن ليس مطلق المِثل والنظير بل المماثل المخالف والمعادي، قال في الفروق: «الفرق بين النِدّ والمِثل: أنَّ النِدّ هو المِثل المنادّ من قولك نادّ فلانٌ فلانًا إذا عاداه وباعده، ولهذا سُمي الضدّ نِدًّا»[1].

وهذا المعنى من النِدّية لا ينطبق على علماء الدين الذين يقومون باستنباط الأحكام الشرعية وبيانها للناس؛ لأنّ ما يقوم به علماء الدين في استنباط الأحكام هو ما تقدّمت الإشارة إليه في المطلب الثاني من الجمع بين البيانات الصادرة في القرآن والسنّة وجمعها جمعًا عرفيًّا حتّى يخرجوا بالمراد الجدّي للشارع منها، ففي القرآن الكريم يوجد عامّ وخاص، ومطلق ومقيّد، ونصّ وظاهر، ومحكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، ومجمل ومبيّن، وغير ذلك من الطرق البيانية الكثيرة التي جاءت بها الآيات الكريمة بحسب ما تقتضيه أساليب البيان والتعبير في اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، وجاءت بها السنّة الشريفة، ودور العلماء هو دراسة هذه الأساليب البيانية كلّها وتمحيصها والجمع بينها جمعًا عرفيًّا ثم الخروج بالمحصلة النهائية منها، على وفق أساليب الجمع العرفي العقلائي في فهم الكلام العربي، والموجودة في كتب البلاغة.

ومن لم يُجِدْ أساليب الجمع العرفية هذه بين النصوص الشرعية قد يقع في محاذير شرعية خطيرة جدًّا، كما لو تمسك الفرد العادي

(١) الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، ص ٥٣٥.

- غير المتخصّص - بعموم آيةٍ قرآنيةٍ وأصرّ على الأخذ بحكمها، كما لو تمسّك مثلًا بالأخذ بعموم قوله تعالى: ﴿فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ﴾[(١)]، وصّرح بلحاظه بقتل جميع الكفار في الأرض بمجرد ملاقاتهم، والحال أنّ الآية مخصّصة بخروج من يعطي الجزية منهم، قال تعالى: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ﴾[(٢)]، ومخصّصة بقتال المحاربين دون المسالمين من الكافرين، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[(٣)]، وهكذا توجد تخصيصات كثيرة لأغلب العمومات الواردة في القرآن الكريم، حتّى قيل: ما مِنْ عامٍّ إلّا وقد خصّ.

فهنا لا يحقّ للإنسان غير المتخصّص التمسك بالعمومات من دون مراجعة مخصِّصاتها ولاستنباط الحكم الشرعي منها، وما يقوم به العلماء هو هذه الوظيفة من الجمع بين النصوص الشرعية ثم الخروج بالمحصلة النهائية منها، لذا وجب الأخذ عنهم بمقتضى السيرة العقلائية القطعية التي توجب رجوع الجاهل إلى العالِم، كلٌّ في اختصاصه، فكما لا يحقّ للإنسان غير المتخصص في الطب أن يعطي الوصفات الطبية للناس، كذلك لا يحقّ لغير المتخصّص في العلوم الدينية وغير البالغ لمرتبة الاجتهاد أن يفتي الناس في الأحكام.

وبهذا اللحاظ لا ينطبق عنوان الندّية على ما يقوم به العلماء في

---

(١) محمد: ٤.

(٢) التوبة: ٢٩.

(٣) البقرة: ١٩٠.

استنباط الأحكام، اللهم إلّا إذا كان ما يفتي به هذا العالِم فيه مخالفة صريحة للقرآن والسنّة الشريفة، فهذا مردود بالاتفاق ولا كلام من هذه الناحية[١].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) من اجابات الشيخ خالد البغدادي رحمه الله.

دفع الزكاة من عليّ عليه السلام في أثناء الصلاة لا ينافي الخشوع فيها

السائل: أيمن مراد، مصر.

السؤال: يقول تعالى في سورة المؤمنون: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾، فكيف يُنسب إلى عليّ رضي الله عنه أنّه اشتغل بإخراج الزكاة وقتَ الصلاة؟ وكيف عدّ هذا الاشتغال عن الصلاة من فضائله؟

فإنْ قلتم: دلّ على مشروعية ذلك حديثُ حمْلِ النبيّ صلى الله عليه وسلّم أُمامة بنت أبي العاص في صلاته، قلنا: إنّ هذا الحديث قد نسخ بما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم: «إنّ في الصلاة لشغلًا»، فتفضلوا أجيبونا.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

في البدء نقول لقد مُدح هذا الفعل (إيتاء الزكاة أثناء الصلاة) في القرآنِ الكريم نفسِه حين قال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ



آَمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[١].

قال القرطبي في تفسيره: «قال ابن خويزمنداد قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ تضمنت جواز العمل اليسير في الصلاة، وذلك أن هذا خرج مخرج المدح، وأقل ما في باب المدح أن يكون مباحًا»[٢].

وجاء عن النسفي في تفسيره للآية الكريمة: «وورد بلفظ الجمع وإن كان السبب فيه واحدًا ترغيبًا للناس في مثل فعله لينالوا مثل ثوابه. والآية تدل على جواز الصدقة في الصلاة، وعلى أن الفعل القليل لا يفسد الصلاة»[٣].

وعن الزمخشري في تفسيره: «فإن قلت: كيف صح أن يكون لعلي رضي الله عنه واللفظ لفظ جماعة؟ قلت: جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلًا واحدًا ليرغب الناس في مثل فعله، فينالوا مثل ثوابه، ولينبّه على أنّ سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البرّ والإحسان وتفقد الفقراء، حتى إن لزمهم أمر لا يقبل التأخير وهم في الصلاة لم يؤخروه إلى الفراغ منها»[٤].

على أنّ الملحوظ بأنّ إخراج الزكاة والصدقة ليس من الأمور الدنيوية حتّى يعدّ شاغلًا عن الصلاة، بل هو من الأمور العبادية التي يكون الداعي فيها هو قصد التقرب إلى الله ﷻ، شأنه في ذلك شأن

(١) المائدة: ٥٥.
(٢) تفسير القرطبي، ج ٦، ص ٢٢٢.
(٣) تفسير النسفي، ج ١، ص ٢٩٤.
(٤) تفسير الزمخشري، ج ١، ص ٦٢٤.

الصلاة التي يشترط فيها قصد القربة، فاتحاد المقصود في كلا الأمرين يرفع دعوى التشاغل هذه، بل يمكن عدّ ذلك من أفضل الحالات التي ينبغي أن تكون عليها سجيّة المؤمنين على حدّ قول الزمخشري المتقدّم.

أمّا الإشكال على الجواب النقضي لهذه الشبهة بأنّ حمل النبي ﷺ لأُمامة بنت أبي العاص وهو في صلاته قد نسخ بقوله ﷺ: «إنّ في الصلاة لشغلًا».

نقول: حادثة حمل النبيّ ﷺ لأمامة بنت أبي العاص وهو في صلاته كانت بعد الهجرة، حين قدمت زينب وابنتها إلى المدينة آنذاك، بينما حديث: «إنّ في الصلاة لشغلًا» كان قبل الهجرة، فدعوى النسخ هذه باطلة، ولا محلّ لها، وقد ردّها علماء أهل السنّة أنفسهم.

قال ابن حجر في "فتح الباري": «إنّ النسخ لا يثبت بالاحتمال، وبأنّ هذه القصة كانت بعد قوله ﷺ: (إنّ في الصلاة لشغلًا)، لأن ذلك كان قبل الهجرة وهذه القصة كانت بعد الهجرة قطعًا بمدة مديدة... وحمل أكثر أهل العلم هذا الحديث على أنّه عمل غير متوالٍ لوجود الطمأنينة في أركان صلاته، وقال النووي: ادّعى بعض المالكية أنّ هذا الحديث منسوخ، وبعضهم أنّه من الخصائص، وبعضهم أنّه كان لضرورة، وكلّ ذلك دعاوى باطلة مردودة، لا دليل عليها، وليس في الحديث ما يخالف قواعد الشرع... والأعمال في الصلاة لا تبطلها إذا قلّت أو تفرقت، ودلائل الشرع متظاهرةٌ على ذلك، وإنّما فعل النبي

صـلى الله عليـه وسـلم ذلـك لبيـان الجـواز، وقـال الفاكهـاني: وكان الـسرّ في حملـه أُمامـة في الصـلاة دفعًـا لمـا كانـت العـرب تألفـه مـن كراهـة البنـات وحملهـن، فخالفهـم في ذلـك حتّـى في الصـلاة للمبالغـة في ردعهـم، والبيـان بالفعـل قـد يكـون أقـوى مـن القـول»[١].

والحمـد لله أوّلًا وآخـرًا، وصـلّى الله وسـلّم عـلى سـيّدنا ونبيّنـا محمّـد وآلـه الطيّبـين الطاهريـن المعصومـين المنتجَبـين.



(١) فتح الباري، ج١، ص٤٨٩.

اللّه يُطلِع بعض عباده على الغيب ويخيّرهم في موتهم كذلك

السائل: سامي عابدين، مصر

السـؤال: الأئمـة عنـد الشـيعة يعلمـون متـى يموتـون ولا يموتـون إلّا باختيـار مـن أنفسـهم!!

السـؤال هنـا: ١ - كيـف يموتـون باختيارهـم. ٢ - ظاهـر هـذا المعتقـد أنَّ أئمتهـم يشـاركون الله في علمـه، أ ليـس هـذا هـو الـشرك بعينـه؟!

الجواب:

بسمه تعالى

والحمـد لله وكفـى، وسـلام عـلى عبـاده الذيـن اصطفـى، محمـد وآلـه المطهريـن..

الجواب على سؤالكم يكون كبرى وصغرى:

أمّا الكبرى: هل يجوز أن يُطلع الله أحدًا من الخلق على غيبه؟

الجـواب: نعـم يجـوز ذلك، فقـد أخبرنا الله سبحانه وتعالى في آية صريحـة بهذا الأمر، قـال تعـالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ

﴿رَسُولٍ﴾[١].

قال ابن حجر في "فتح الباري": «قوله إلّا من ارتضى من رسول فإنّه يقتضي إطلاع الرسول على بعض الغيب، والولي التابع للرسول عن الرسول يأخذ، وبه يكرم، والفرق بينهما أنَّ الرسول يطلع على ذلك بأنواع الوحي كلّها، والولي لا يطلع على ذلك إلّا بمنامٍ أو إلهامٍ، والله أعلم»[٢].

وهذا كما ترى- بعدَ جوازِ إعطاء علم الغيب من قبل الله عزّ وجلّ لبعض عباده- لا يعدّ من مصاديق الشرك، وهو واضح.

الصغرى: هل أطْلع الله عزّ وجلّ أحدًا من عباده على غيبه، وخيّره بين الموت والبقاء في الدنيا؟

الجواب، نعم، لقد أثبتت مرويات أهل السنّة بما لا مزيد عليه أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أخبر الصحابة عن أمور غيبية كثيرة حفظها من حفظها، ونسيها من نسيها منهم.

جاء في صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق عن طارق بن شهاب: «فأخبرنا عن بدء الخلق حتّى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم»[٣].

وهذا بيان صريح عن أمر غيبي يتعلّق ببدء الخلق ومصير الخلائق في يوم القيامة.

---

(١) الجن: ٢٦-٢٧.

(٢) فتح الباري، ج ٨، ص ٣٩٥.

(٣) صحيح البخاري، ج ٤، ص ٧٣.

وجاء في صحيح مسلم عن حذيفة، قال: «قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامًا ما ترك شيئًا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلّا حدَّث به، حفِظَه مَنْ حفِظَه، ونسِيَه مَنْ نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء»[١].

والتعبير بـ (ماترك شيئًا) مطلق يشمل كلّ الأمور، الفتن وغيرها، كما لا يخفى على من يفقه في علم الأصول.

وفي صحيح مسلم أيضًا عن علباء بن أحمر عن عمرو بن أخطب: «ثمَّ صعد المنبر، فخطبَنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن، فأَعْلمُنا أحْفَظُنا»[٢].

هذا، وقد أثبت أهل السنّة علم الغيب لرموزهم أيضًا في موارد كثيرة، نذكر منها:

١- جاء في "البداية والنهاية" لابن كثير: «وقد ذكرنا في سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أشياء كثيرة من مكاشفاته وماكان يخبر به عن المغيبات كقصة سارية بن زنيم»[٣]. انتهى.

٢- وجاء في "مجموع الفتاوى" لابن تيمية: «وأمّا المعجزات التي لغير الأنبياء من "باب الكشف والعلم" فمثل قول عمر في قصة سارية، وإخبار أبي بكر ببطن زوجته أنثى، وإخبار عمر بمن يخرج من ولده، فيكون عادلًا»[٤].

(١) صحيح مسلم، ج ٨، ص ١٧٢، كتاب الفتن وأشراط الساعة.
(٢) صحيح مسلم، ج ٨، ص ١٧٣.
(٣) البداية والنهاية لابن كثير، ج٩ ، ص ١٦١.
(٤) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ج ١١، ص ٣١٨.

انتهى.

٣- وجاء عن ابن عثيمين في "مجموع فتاواه": «أنَّ الكرامة تنقسم إلى قسمين: قسم يتعلق بالعلوم والمكاشفات، وقسم آخر يتعلق بالقدرة والتأثيرات.

- أمّا العلوم، فأن يحصل للإنسان من العلوم ما لا يحصل لغيره.

- وأمّا المكاشفات، فأن يظهر له من الأشياء التي يكشف له عنها ما لا يحصل لغيره.

-مثال الأول- العلوم: ما ذكر عن أبي بكر: أن الله أطلعه على ما في بطن زوجته -الحمل-، أعلمه الله أنه أنثى.

ومثال الثَّاني -المكاشفات-: ما حصل لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين كان يخطب النَّاس يوم الجمعة على المنبر، فسمعوه يقول: يا سارية! الجبل!»[١] .انتهى.

أمّا عن التخيير بين الموت والبقاء في الدنيا، فقد أخرج البخاري عن عائشة، قالت: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من نبيّ يمرض إلا خيّر بين الدنيا والآخرة. وكان في شكواه الذي قبض فيه أخذته بُحّة شديدة، فسمعته يقول: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾[٢]، فعلمت أنه خُيرّ»[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن عثيمين، ج ٨، ص ٣٢٧.
(٢) النساء: ٦٩.
(٣) صحيح البخاري، ج ٥، ص ١٨١، باب فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين.

وجاء عن الإمام الطحاوي في كتابه "مشكل الآثار" في تعليق له على الحديث الوارد (ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة): «وفي هذا الحديث معنى يجب أن يوقف عليه، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنّة، على ما في أكثر هذه الآثار وعلى ما في سواه، منها: ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنّة، فكان تصحيحهما يجب به أن يكون بيته هو قبره، ويكون ذلك علامة من علامات النبوة جليلة المقدار؛ لأنّ الله عزّ وجلّ قد أخفى على كلّ نفس سواه صلى الله عليه وسلم الأرض التي يموت فيها بقوله عزّ وجلّ في كتابه ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ فأعلمه عزّ وجلّ الموضع الذي فيه يموت والموضع الذي فيه قبره حتّى علم ذلك في حياته وحتّى أعلمه من أعلمه من أمته فهذه منزلة لا منزلة فوقها زاده الله شرفًا وخيرًا»[1]. انتهى.

نقول: بحسب ما جاء في النصّ القرآني المتقدّم، وبحسب الأحاديث النبوية المروية في صحاح أهل السنّة، وما رواه علماء أهل السنّة من كرامات لرموزهم في موضوع المغيبات والكشف الغيبي، لا يكون إثبات هذا الأمر عند الشيعة الإمامية لأئمتهم عليهم السلام شركًا؛ لأن حكم الأمثال في ما يجوز وما لا يجوز واحد من هذه الناحية.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

(١) بيان مشكل الآثار، ج٤، ص ٧٢.



هذا ما قدمه أئمة أهل البيت عليهم السلام للإسلام

السائل: كامل محمّد - فلسطين

السؤال: ماذا فعل الأوصياء للإسلام؟ أين نجد ذكرَهم في القرآن والتاريخ؟

فقط تراهم أمام أبواب معاوية ويزيد وكراسي الخلافة للاستعطاء.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

من الواضح أنّك تريد من التعبير بكلمة الأوصياء أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين نصّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على خلافتهم في الحديث الصحيح الصريح الذي جاء فيه: «إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله، حبل ممدود ما بين الأرض والسماء، وعترتي أهل بيتي، وأنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»[١].

وسنجيبك على سؤالك بذكر أنموذج واحد ممّا قدّمه الأوصياء

(١) صحيح الجامع الصغير للألباني، ج١، ص٤٨٢؛ مسند أحمد بن حنبل، برقم: ٢١٦٥٤، تصحيح شعيب الأرنؤوط.

للإسلام ونترك بقية الكلام عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام؛ لأنّ الكلام يطول بذكر إنجازاتهم جميعًا.

فبعد أن أزاح أصحاب السقيفة صاحب الحقّ الشرعي - أمير المؤمنين عليّ عليه السلام - عن منصبه في قيادة شؤون المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحصلت تلك الأفعال المشينة من تهديده ومحاولة حرق بيته من قبلهم[١]، لم يترك أمير المؤمنين عليّ عليه السلام المسلمين في هذه المدة، وكان ملاذهم ومنقذهم في المواقف الصعبة جميعها حتّى اشتهر عن عمر بن الخطاب قوله - وهو في سدّة الحكم -: «لولا عليّ لهلك عمر»، وينقل المحدّثون نفس هذه المقولة عن أبي بكر، وينقلها بعضهم عن عثمان أيضًا.

قال المناوي الشافعي في "فيض القدير": «وأخرج أحمد أنّ عمر أمر برجم امرأة، فمرّ بها عليّ، فانتزعها، فأخبر عمر، فقال: ما فعله إلّا لشيء، فأرسل إليه، فسأله، فقال: أما سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: رفع القلم عن ثلاث... الحديث؟ قال: نعم، قال: فهذه مبتلاة بني فلان، فلعله أتاها، وهو بها، فقال عمر: لولا عليّ هلك عمر واتفق له مع أبي بكر نحوه»[٢].

وراجع بقية المصادر التي ذكرت ذلك في: الاستيعاب لابن عبد

---

(١) كما يذكر ذلك بأسانيد صحيحة جملةٌ من المحدّثين كالخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، ج ٦، ص ٧٥، ح ٢٥٦٩، قال الدكتور: بشار عواد معروف المحقق للكتاب: أثر صحيح، وابن أبي شيبة في مصنفه، ج ٨، ص ٥٧٢، قال الدكتور سعد الشثري المحقق للمصنف: صحيح.

(٢) فيض القدير، ج ٤، ص ٤٧٠.

البر(١)، والرياض النضرة للطبري(٢)، وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة(٣)، ومرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح للعلامة القاري(٤)، وزين الفتى للعاصمي(٥)، وغيرها من المصادر.

وجاء عن ابن حجر في "فتح الباري" قوله: «وفي كتاب النوادر للحميدي والطبقات لمحمد بن سعد من رواية سعيد بن المسيب، قال: كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن، يعني عليّ بن أبي طالب»(٦).

وليست تلك المشورة العظيمة التي قدّمها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لعمر بن الخطاب حين ضاقت به السبل عندما استعد الفرس للهجوم على بلاد الإسلام، إلا واحدة من تلك المواقف التي قلبت الأمور لصالح الإسلام والمسلمين(٧).

فهنا نجد بكلّ وضوح - هذه المواقف والكلمات المشهورة عن الخلفاء - أنّهم كانوا يلوذون بأمير المؤمنين عليّ عليه السلام لإنقاذهم من تلك المواقف الصعبة التي لا يقدرون على حلّها، وبلحاظه ندرك جيدًا معنى الحديث الوارد في صحيح مسلم: «لا يزال الاسلام عزيزًا إلى اثني

(١) الاستيعاب، ج ٣، ص ١١٠٣.
(٢) الرياض النضرة، للطبري، ج ٢، ص ١٩٤.
(٣) تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة، ص ١٥٢.
(٤) مرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح، للعلامة القاري، ج ١١، ص ٢٥٢.
(٥) زين الفتى، للعاصمي، ج ١، ص ٣١٨.
(٦) فتح الباري، ج ١٣، ص ٢٨٦.
(٧) انظر: تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢١١؛ والفتوح لابن أعثم الكوفي، ج ٢، ص ٣٤- ٤٠؛ والأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري، ص ١٣٥.

عشر خليفة»[١]، فعزّة الإسلام منوطة بوجود الخلفاء الشرعيين من أئمة أهل البيت عليهم السلام؛ لأنّهم كانوا المنجى والمنقذ لغيرهم ممّن استولى على الخلافة بغير حقّ، وإلا فهؤلاء الخلفاء أنفسهم كانوا عاجزين عن تفسير آيةٍ واحدةٍ في القرآن الكريم، ومحنة الخليفتين أبي بكر وعمر بن الخطاب مع تفسير كلمة (الكلالة) الواردة في القرآن الكريم مشهورة ومعلومة[٢]، بينما كان أمير المؤمنين علّي عليه السلام يقف على المنبر، ويقول: سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدّثتكم به، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم بليلٍ نزلتْ أم بنهارٍ أم بسهل نزلت أم بجبل؟[٣].

وأيضًا ينقل لنا التاريخ تلك المحنة الكبرى التي وقع فيها عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي حين هدده ملك الروم بنقش شتم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على سكّة نقدية معدنية وتوزيعها في العالم كلّه لإذلال الإسلام والمسلمين، ولم ينقذه من تلك المحنة إلا ما أشار عليه الإمام عليّ بن الحسين السجّاد عليه السلام[٤] أو الإمام الباقر عليه السلام[٥]، فعزّة الإسلام منوطة بوجود هؤلاء الأئمة الأطهار عليهم السلام وليس بغيرهم.

أمّا في مدة حكم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام المباركة فقد قدّم للإسلام

(١) صحيح مسلم، ج٦، ص ٣.
(٢) انظر: صحيح مسلم، ج ٢، ص ٨١؛ ومسند أحمد، ج ١، ص ١٥؛ وطبقات ابن سعد، ج ٢، ص ٣١٥.
(٣) جامع بيان العلم لابن عبد البر، ج ١، ص ٤٦٤، يرويه بإسناد صحيح.
(٤) كما يذكر ذلك ابن كثير في البداية والنهاية، ج ٩، ص ١٢٢.
(٥) كما يذكر ذلك البيهقي في المحاسن والمساوئ، ص ٣٤٢؛ والدميري في حياة الحيوان، ج ١، ص ١٢٩.



أُنموذجًا رائعًا وفريدًا للحكم العادل ما زالت الدنيا تفتخر به وإلى يوم الناس هذا حتّى شهدت الأمم المتحدّة مؤخّرًا بهذا الأُنموذج الرائد للحكم العادل في دنيا الوجود.

فقد عاش الناس زمن حكم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام الرخاء في أبهى صوره، ينقل أحمد في فضائله[١] وابن أبي شيبه في مصنفه،[٢] والحاكم في مستدركه، وصححه، ووافقه الذهبي[٣]، أنّ عليًّا عليه السلام قال: «ما أصبح بالكوفة أحد إلّا ناعمًا، وأنّ أدناهم منزلة مَن يأكل البر، ويجلس في الظل، ويشرب من ماء الفرات». ا.هـ.

فهذه هي حالة الرخاء التي عاشها الناس في زمانه، وهم يُعدّون بالملايين، لا تجد فيهم فقيرًا واحدًا، وقوله عليه السلام: «ما أصبح بالكوفة أحد إلّا ناعمًا» صريحٌ في هذا المعنى.

أمّا الحريات السياسية والتعبير عن الرأي فحدّث ولا حرج، فالتعبير عن الرأي متاح للجميع بأروع ما يكون بشرط أن لا يؤذى الآخرون، ولا يتجاوز على حقوقهم، فلم يكن يمنع الخوارج - وهم معارضوه - من بيت المال، وكان يعطيهم عطاءهم.

فدولةٌ لا فقير فيها، والرخاء يعم أطرافها، والحريات السياسية مكفولة فيها، أيّ دولة عظيمة هذه؟ وهل يوجد مثلها في تاريخنا المعاصر فضلًا عن تاريخنا الغابر؟!

(١) فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل، ج١، ص ٥١٣.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة، ج ٨، ص ١٥٧.
(٣) المستدرك على الصحيحين، ج ٢، ص ٤٨٣.

وهـذا كلّـه تحقـق في غضـون أربـع سـنوات وأشـهر فقـط، هـي مـدّة حكمـه عليه السلام، فـما بالـك لـو كان الأمـر بيـده عليه السلام بعـد وفـاة رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة، واستمر إلى ثلاثين عامًا، أي إلى يـوم وفاتـه عليه السلام ولم ينغص عليه معاويـة وأمثالـه مـن القاسـطين والناكثين والمارقين إدارة بـلاد الإسـلام؟

هـل لـك أن تتصـور الرخـاء والسـعادة والاسـتقرار الـذي يمكـن أن ينعـم بـه المسـلمون والبـشر بوجـود مثل هـذا القائـد والإمـام يحكمهـم؟!

ومـن هنـا تعـرف الـسرّ الـذي جعـل الأمـم المتحـدة تعلـن في عـام ٢٠٠٢ ميـلادي أنّ الإمـام عـليّ بـن أبي طالـب عليه السلام هـو رائـد العدالـة الاجتماعيـة والسياسـية في العـالم.

والحمـد لله أوّلًا وآخـرًا، وصـلّى الله وسـلّم عـلى سـيّدنا ونبيّنـا محمّـد وآلـه الطيّبـين الطاهريـن المعصومـين المنتجَبـين.



العلم بالغيب عند الأئمة عليهم السلام علم يمنحه الله لهم في ما يتعلق بوظائف إمامتهم

المستشكل: عبد العزيز

الإشكال: تذكرون في كتبكم أن مسير الحسين إلى أهل الكوفة ثم خذلانهم له وقتله كان سببًا في ردة الناس إلا ثلاثةً. إذًا لو كان يعلم المستقبل -كما تزعمون- لما سار إليهم.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

الإجابة عن هذا السؤال يكون في شقّين:

الأوّل: هل يعلم الإمام الحسين عليه السلام أمور المستقبل وأنّ هذا يشكّل عقيدة لنا نحن الشيعة الإمامية؟!

الثاني: على فرض علمه بالمستقبل، لماذا ذهب إلى كربلاء، وهو يعلم خذلان أنصاره وأنّه سيقتل هناك؟!

أمّا جواب الشقّ الأوّل، فنقول: نعتقد نحن الشيعة الإمامية أنَّ

أئمتنا عليهم السلام لا يعلمون الغيب، ولكنهم متى شاؤوا أن يعلموا شيئًا أعلمهم إياه الله عز وجل، دلّت على ذلك روايات كثيرة متضافرة في مجاميعنا الحديثية[١].

جاء في "الكافي" بسنده عن عمّار الساباطي: قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الإمام يعلم الغيب؟ فقال: لا - ولكنْ إذا أراد أن يعلم الشيءَ أعلمه اللهُ ذلك»[٢].

فهذا العلم بالغيب عند الأئمة عليهم السلام علم يمنحه الله عز وجل للإمام في ما يتعلّق بوظائف إمامته، ولا يقتصر الإمامية على هذه الدعوى من علم أئمتهم ببعض المغيَّبات، بل هذه الدعوى موجودة عند أهل السنّة أيضًا، فقد ثبت من مرويات أهل السنّة أنّ عمر بن الخطاب قد علم الغيب، ونادى سارية بن زنيم الذي بعثه قائدًا على إحدى الجيوش لبلاد فارس، فناداه وهو في المدينة: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فاستند سارية إلى الجبل وتحقّق لهم النصر على جيش الفرس[٣].

وكذلك أخرج الألباني في "إرواء الغليل" حديث إخبار أبي بكر بما في بطن زوجته وأنّها أنثى، وصحّحه[٤].

قال ابن تيمية في "مجموع الفتاوى": «وأما المعجزات التي لغير

(١) انظر: الوافي، للفيض الكاشاني، ج ٣، ص ٥٩٠، باب: أنهّم لا يعلمون الغيب إلا أنهّم متى شاؤوا أن يعلموا أعلموا.
(٢) الكافي، ج ١، ص ٢٥٧.
(٣) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ج ٧ن ص ١٤٧، قال: هذا إسناد جيد حسن... ويقوي بعضه بعضًا؛ وسلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، ج ٣، ص ١٠١.
(٤) إرواء الغليل، ج٦ ص ٦١.

الأنبياء من "باب الكشف والعلم" فمثل قول عمر في قصة سارية، وإخبار أبي بكر بأنّ ببطن زوجته أنثى»[١].

نقول: فإذا ثبت هذا العلم بالغيب لغير الأنبياء، حسب ابن تيمية وابن كثير والألباني فهو يثبت لغيرهم، فحكم الأمثال فيما يجوز ولا يجوز واحد من هذه الناحية.

أمّا جواب الشقّ الثاني، فنقول: العلم ببعض الأمور الغيبية لا يعني مخالفة المحتوم، فإنّ هناك أمورًا محتومة لابدّ من وقوعها إذا حضرت أسبابها، وهذا لا يعني تقدير وقوعها على نحو الجبر، بل هي ممّا جرى في علم الله سبحانه وتعالى بأنّها ستقع حتمًا لحضور أسبابها ومسبباتها، والتكليف في دار الدنيا- كما هو معلوم- إنّما يجري على وفق قانون الأسباب والمسبَّبات، فلو فرضنا أنّ هناك شخصًا سيُقتل غدا بالرصاص في حادثةٍ معينة، والله سبحانه وتعالى قد أعطى هذا العلم بالموت للشخص نفسه، فهل تراه يقدر هذا الشخص أن يدفع الموت عنه إذا حضرت كلّ الأسباب لحضوره في تلك الحادثة ومقتله فيها؟!!

إنّ دفع الأسباب بعد حضورها ليس مقدورًا لأحد من البشر.. وقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنّ ولده الحسين عليه السلام سيقتل في أرضٍ يقال لها (كربلاء)، وهذا أمر تضافر نقله عن الجميع، وهو ممّا كان يعلمه الحسين عليه السلام أيضًا.. فلماذا لم ينه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولده الحسين عليه السلام من الذهاب إلى كربلاء حتّى لا يقتل فيها؟!!

(١) مجموع الفتاوى، ج ١١، ص ٣١٨.

إنّ التكليف الشرعي للإمام الحسين عليه السلام في وقتها كان هو الخروج لنصرة المظلومين بعد أن اجتمعت عنده آلاف الكتب من أهل الكوفة وعشرات الألوف من التواقيع عليها تستنجد به للخلاص من الحكم الأموي وطاغيته يزيد.

والإمام عليه السلام مأمور بالأخذ بظواهر الأمور، وليس له أن يتعامل مع الأحداث بما عنده من علمٍ غيبيٍّ بخذلان الناس وتقاعسهم عن نصرته في ما بعد، فالحجّة قد اكتملت -ظاهرًا- بحضور الناصر، الأمر الذي يحتم عليه الاستجابة لهم، وفي هذا الجانب يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجّة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كظّة ظالمٍ ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها»[1].

وبلحاظ ما تقدّم نقول: إنّ علم أهل البيت عليهم السلام بمصرعهم في مكان ما لا يعني أن يخالفوا المحتوم بعد حضور أسبابه، وهذا مطلب يرتبط بمسألة القضاء والقدر، ولا بأس أن نشير إليه هنا على نحو موجز فنقول: إنّ القضاء على نحوين:

(١) قضاء محتوم، وهو ما أخبرنا به الرسل والأنبياء، فهذا يحصل لا محالة؛ لأنّ الله لا يكذّب أنبيائه ورسله.

(٢) قضاء موقوف، أي غير محتوم، وهو خاضع لقانون المحو

(١) نهج البلاغة، ج ١، ص ٣٦.

والإثبات الذي أخبرنا به سبحانه وتعالى في قوله: ﴿يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[١]، فهنا في هذا القضاء يجري التغيير بحسب مقتضيات عمل الإنسان وأفعاله التي تبدّل الأقدار، كما نصّت على ذلك الأحاديث الشريفة: بأنّ الدعاء يردّ القضاء، والصدقة تدفع البلاء، وصلة الأرحام تزيد الأعمار، ونحو ذلك[٢].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) الرعد:٣٩.

(٢) انظر: سنن الترمذي، ج ٣، ص ٣٠٤؛ المستدرك للحاكم، ج ١، ص ٤٩٣؛ شعب الايمان للبيهقي، ج ٣، ص ٢١٤.

لا يمكن للظالم أن يكون إمامًا وخليفة للمسلمين

المستشكل: عماد الدين.

الإشكال: قال الله تعالى: ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

فإذا كانت الإمامة عهد الله فكيف اغتصبت من أئمتكم أيّها الشيعة كما تدّعون؟!

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

قبل أنْ نجيبك عن موضوع غصب الإمامة من أهلها الشرعيين وعلاقة ذلك بثبوت الشيء وعدمه لأصحابه، نتطرق إلى شيء من كلمات علماء الأمّة في تفسير الآية الكريمة التي ذكرتها في سؤالك:

قال الطبري في تفسيره: «القول في تأويل قوله تعالى: قال لا ينال عهدي الظالمين. هذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن أنّ الظالم لا يكون إمامًا يقتدي به أهلُ الخير، وهو من الله جلّ ثناؤه جوابٌ لما توهم في مسألته إياه أن يجعل من ذريته أئمة مثله، فأخبر أنّه فاعل ذلك إلّا بمن كان من



أهل الظلم منهم، فإنّه غير مصيره كذلك، ولا جاعله في محل أوليائه عنده بالتكرمة بالإمامة؛ لأنّ الإمامة إنّما هي لأوليائه وأهل طاعته دون أعدائه والكافرين به»[1].

وجاء في تفسير ابن كثير: «عن مجاهد في قوله ﴿قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قال: إنّه سيكون في ذريتك ظالمون، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد " قال: ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾" قال لا يكون لي إمام ظالم، وفي رواية: لا أجعل إمامًا ظالمًا يُقتدى به. وقال سفيان عن منصور عن مجاهد في قوله تعالى ﴿قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قال: لا يكون إمام ظالم يُقتدى به. وقال ابن أبي حاتم: أخبرنا أبي، أخبرنا مالك بن إسماعيل، أخبرنا شريك عن منصور عن مجاهد في قوله ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ قال: أمّا من كان منهم صالحًا فأجعله إمامًا يُقتدى به، وأمّا من كان ظالمًا فلا ولا نعمة عين»[2].

فهذه الأقوال من علماء التفسير - ويوجد غيرها كثير - قد أجمعت على أنّ الظالم لا يمكن أن يكون إمامًا.

قال القرطبي في تفسيره "الجامع لأحكام القرآن": «استدلّ جماعة من العلماء بهذه الآية على أنّ الإمام يكون من أهل العدل والإحسان والفضل مع القوة على القيام بذلك، وهو الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم ألا ينازعوا الأمر أهله على ما تقدم من القول فيه، فأمّا أهل الفسوق والجور والظلم فليسوا له بأهل لقوله تعالى ﴿لاَ يَنَالُ

(١) تفسير الطبري، ج ١، ص ٧٣٧.
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج ١، ص ١٧٢.

عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ولهذا خرج ابن الزبير والحسين بن علي رضي الله عنهم، وخرج خيار أهل العراق وعلماؤهم على الحجاج، وأخرج أهل المدينة بني أمية، وقاموا عليهم، فكانت الحرة التي أوقعها بهم مسلم بن عقبة»[(١)]. انتهى.

وعن ابن عبد البر في "الاستذكار": «قوله: "ألّا ننازع الأمر أهله"، فقال قائلون: أهله أهل العدل، فهؤلاء لا ينازعون لأنّهم أهله، أمّا أهل الجور والظلم فليسوا بأهل له، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، ذهب إلى هذا طائفة من السلف الصالح، وتبعهم خلف من الفضلاء والعلماء من أهل المدينة والعراق، وبهذا خرج ابن الزبير والحسين بن علي على يزيد، وخرج خيار أهل العراق وعلماؤهم على الحجاج، وخرج أهل المدينة على بني أمية في الحرَّة»[(٢)]. انتهى.

وبلحاظ ما ذكره العلماء الأعلام المتقدّم ذكرهم، والحديث النبوي من عدم جواز منازعة الأمر أهله، لا تصحّ خلافة وإمامة أيّ شخص ثبت ظلمه، بل يكون شأنه شأن المغتصب بما ليس له.

تقول: وهل ثبتت إمامة أهل البيت عليهم السلام وخلافتهم بنصّ صحيح صريح؟

الجواب: نعم، لقد ثبتت خلافتهم بنصوص نبويّة صحيحة صريحة، وهذا واحد منها، قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: (إني تارك فيكم خليفتين:

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج ٢ن ص ١٠٨، ١٠٩.
(٢) الاستذكار، ج ٥، ص ١٦.



كتاب الله، حبل ممدود ما بين الأرض والسماء، وعترتي أهل بيتي، وأنّهما لن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض)[١].

والخلافة في اللغة والاصطلاح تعني: الإمام الذي ليس فوقه إمام.

قال ابن نجيم البصري في "البحر الرائق": «والمراد بالخليفة: الإمام الذي ليس فوقه إمام، وقيد به احترازًا عن أمير البلدة، فإنّه يقام عليه الحدود بأمر الإمام»[٢].

أمّا سؤالكم: إذا ثبتت الإمامة لأهل البيت عليهم السلام فكيف يغتصبها منهم غيرهم؟

الجواب: بعد تنصيب الله لهم من قبل رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث الثقلين المتضافر المشهور ووسمهم بالخلفاء من بعده لا يحقّ للأمّة التخلف عن طاعتهم والأخذ بأقوالهم وإن منعهم الظالمون من استلام مناصبهم التي أراد الله لهم في قيادة الأمّة، فاتّباع الأمّة لهم لازم، وعدم استلام مناصبهم لا يلغي صفة الإمامة لهم.

قال ابن تيمية في " منهاج السنّة ": «قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[٣]، وقد قال

---

(١) صحيح الجامع الصغير للألباني، ج ١، ص ٤٨٢؛ مسند أحمد بن حنبل، برقم: ٢١٦٥٤، تصحيح شعيب الأرنؤوط؛ وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد"، ج١، ص ١٧٠: رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات، ج٩، ص ١٦٣: رواه أحمد وإسناده جيد.

(٢) البحر الرائق، ج ٥، ص ٣٣.

(٣) السجدة: ٢٤.

تعالى لإبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[1]، ولم يكن بأن جعله ذا سيف يقاتل به جميع الناس، بل جعله بحيث يجب على الناس اتباعه، سواء أطاعوه أم عصوه»[2]. انتهى .

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) منهاج السنّة النبوية، ج ٧ ١٠٩.

لمن بُعِث نبيُ اللّه آدم عليه السلام؟ ومن الذين اختلفوا في زمانه؟!

السائل: علي رضا، العراق

السؤال: يقول الله عز وجل: ما كان الناس إلا أمة واحدة، فاختلفوا، فبعَث الله النبيين، لمن بعث الله النبي ادم ومن الذين اختلفوا في زمانه؟!

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

سؤالكم هو حول الآية ٢١٣، الواردة في سورة البقرة، وهي قوله تعالى: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ الله النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى الله الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَالله يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾.

وهذه الآية الكريمة تضاربت أقوال المفسرين في المراد منها، وللاختصار نذكر لكم ما أفاده الشيخ محمد جواد مغنية رحمه الله في كتابه "التفسير الكاشف" من كلمة جامعة في الموضوع توضّح المراد منها، حيث قال: «تضاربت أقوال

المفسرين في معنى هذه الآية، وشَرَحَها الرازي بسبع صفحات تقريبًا بالقطع الكبير، أما صاحب المنار فشرحها باثنتين وعشرين صفحة، وترك القارئ العادي في متاهة لا يهتدي إلى شيء.. ونحن على منهجنا من الرفق بالقراء مهتمين بأضعفهم ما أمكن واقفين معه عند مداليل الألفاظ، نشرحها بأوضح وأخصر بيانٍ، كي يتدبر آيات الله بسهولة، وتؤثر أثرها في نفسه، فإنْ كان هناك موضوع هام أشرنا إليه بفقرة مستقلة.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾. أي كانوا على الفطرة التي فطر الله الناس عليها، والتي أشار إليها النبي ﷺ بقوله: كل مولود يولد على الفطرة.

قال صاحب مجمع البيان: «روى أصحابنا عن الإمام أبي جعفر الباقر: أنّهم كانوا قبل نوح أمّة واحدة على فطرة الله لا مهتدين ولا ضالين، فبعث الله النبيين. وعلى هذا فالمعنى أنّهم كانوا متعبدّين بها في عقولهم غير مهتدين إلى نبوة، ولا شريعة».

ثمّ عرض على فطرتهم التخيلات والأوهام، وجرّتهم هذه الأوهام إلى الاختلاف في العقيدة والرأي، ثم إلى اعتداء بعضهم على بعض، فتفرقوا شِيَعًا بعد أن كانوا أمة واحدة، فأرسل الله الأنبياء، ومعهم الكتاب ينطق بالحق، ويحكم بالعدل، ليحتكموا إليه في خلافاتهم ومنازعاتهم.. وهذا هو المعنى الظاهر من قوله تعالى:﴿فَبَعَثَ الله النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾.. وبهذا يتبين أنّ في الكلام جملةً محذوفة، والتقدير كان الناس أمة واحدة، فاختلفوا، بدليل قوله تعالى ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾، وتؤكد ذلك الآية ١٩ من

سورة يونس: ﴿وما كانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً واحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾.

﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾.

أي أنّ الناس الذين كانوا أمة واحدة ثم اختلفوا، فأرسل الله إليهم الأنبياء، إنّ أولئك الناس أيضًا اختلفوا في ما أرسل به الأنبياء، فمنهم من آمن وصدق، ومنهم من كفر وكذّب بعد أن قامت الأدلة والبراهين، والحجة القاطعة على الكافرين والمكذبين للأنبياء ورسالتهم، ولا سبب لهذا التكذيب إلا البغي والخوف على منافعهم ومصالحهم الشخصية، ومكاسبهم العدوانية»[١]. انتهى.

وبلحاظ ما تقدّم نفهم أنّ الناس كانوا أوّل أمرهم على الفطرة، ولكن هذه الفطرة دخلتها الأوهام والتخيلات بفعل عوامل مختلفة، منها بيئية ومنها نفسية، فأثرت فيهم وأجرت الاختلافات بينهم، وكان لنبي الله آدم عليه السلام بعد أن رأى اختلاف أبناءه في ما بينهم وظيفة المرشد لهم إلى الحقّ المبين بالأدلة والبراهين، وهو العمل الذي أتمّه بعده ابنه شيث عليه السلام - أوّل الأنبياء بعد أبيه- والمسمّى بهبة الله[٢].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

---

(١) التفسير الكاشف، ج ١، ص ٣١٨.

(٢) انظر: بحار الأنوار للعلامة المجلسي، ج ١١، ص ٢٦٤.

هَلِ النّارُ التي تخرجُ مِن عدنٍ وتسوقُ النّاسَ إلى المحشرِ هيَ عليٌّ عليه السلام؟!

السائل: عبد الله أبو زينب

السؤال: جاء في الروايات في يوم الظهور أن نارًا تخرج من عدن تسوق الناس إلى المحشر، هذه النار هي علي بن أبي طالب.

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

لم نجد في أي نصٍّ روائيٍّ من كتبنا بل ومن كتب غيرنا ما فيه الإشارة إلى ما تفضلتم به، نعم توجد إشارة إلى أنه عليه السلام هو الذي سيخرج في آخر الزمان، ويسِمُ الناس على وجوههم: هذا مؤمن حقًّا، وهذا كافر حقًّا، كما يوضحه لنا النصان الآتيان: روى الصدوق رحمه الله في "كمال الدين": «عن النزال بن سبرة، قال: خطبنا علي بن أبي طالب عليه السلام فحمد الله، وأثنى عليه. ثم قال: " سلوني أيها الناس قبل أن تفقدوني... إلى أن ذكر الدجال... إلى أن قال عليه السلام: إلا أن بعد ذلك الطامة الكبرى، قلنا: وما ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال خروج دابة من الأرض، من عند الصفا، معها خاتم سليمان، وعصا موسى، تضع الخاتم على وجه كل مؤمن، فيطبع فيه

(هذا مؤمن حقًّا) وتضعه على وجه كل كافر، فيكتب فيه (هذا كافر حقًّا) حتى أن المؤمن لينادي: الويل لك يا كافر، وإن الكافر ينادي: طوبى لك يا مؤمن، ووددْتُ أني اليوم مثلك، فأفوز فوزًا، ثم ترفع الدابة رأسها، فيراها مَن بينَ الخافقين بإذن الله عزّ وجلّ، بعد طلوع الشمس من مغربها، فعند ذلك تُرفع التُوبة، فلا توبة تُقبل، ولا عمل يُرفع، ولا ينفع نفسًا إيمانُها لم تكن آمنت من قبلُ أو كسبت في إيمانها خيرًا»[١] وجاء في " مختصر بصائر الدرجات": «حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن الحسن، قال: حدثنا عبد الله بن محمد الزيات، قال: حدثنا محمد يعني ابن الجنيد، قال: حدثنا مفضل بن صالح عن جابر عن أبي عبد الله الجدلي، قال: دخلت على عليٍّ عليه السلام يومًا، فقال: أنا دابةُ الأرض، حدثنا علي بن أحمد بن حاتم، حدثنا إسماعيل بن إسحاق الراشدي، حدثنا خالد بن مخلد، حدثنا عبد الكريم بن يعقوب الجعفي عن جابر بن يزيد عن أبي عبد الله الجدلي، قال: دخلت على علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: ألا أحدثك ثلاثًا قبل أن يدخل عليَّ وعليك داخلٌ، أنا عبد الله أنا دابة الأرض صدقها وعدلها وأخو نبيها أنا عبد الله»[٢].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

---

(١) كمال الدين، ص ٥٢٧.

(٢) مختصر بصائر الدرجات، ص ٢٠٧.

الصلاة الشرعية على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم

السائل: محمد حسين

السؤال: السلام عليكم.. أجد إخواننا أهل السنّة حين يصلّون على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقولون هكذا: صلى الله عليه وسلّم، من دون ذكر الآل، فهل هذه الصلاة صحيحة؟

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

عندما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[١]، أقبل الصحابة يسألون النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن كيفية الصلاة عليه، فقالوا له - كما في صحيح البخاري وغيره -: يا رسول الله أمّا السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة؟ قال: قولوا: اللهم صلِّ على محمّد وعلى آل محمّد كما صلّيت على آل إبراهيم، إنّك حميد مجيد، اللهم بارك على

(١) الأحزاب: ٥٦.

محمّد وعلى آل محمّد كما باركت على آل إبراهيم، إنّك حميد مجيد[١].

وقد تواتر النقل لهذه الكيفية في الصلاة على النبيّ ﷺ عن اثني عشر صحابيًّا، يرويها أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد والمحدّثون في كتبهم، منهم: أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وابن عباس، وابن مسعود، وزيد بن خارجة وغيرهم. قال العلامة الصنعاني في كتابه "سبل السلام": «الصلاة عليه لا تتم، ويكون العبد ممتثلًا بها حتّى يأتي بهذا اللفظ النبويّ الذي فيه ذكر الآل؛ لأنّه قال السائل: كيف نصلّي عليك؟ فأجابه بالكيفية أنّها الصلاة عليه وعلى آله، فمن لم يأتِ بالآل، فما صلّى عليه بالكيفية التي أمر بها»[٢].

وعن الشوكاني في "فتح القدير": «وجميع التعليمات الواردة عنه ﷺ في الصلاة عليه مشتملة على الصلاة على آله معه إلاّ النادر اليسير، حتى أنّ النووي يرى عدم مشروعية الصلاة على النبيّ ﷺ وحده ما لم يكن معه آله»[٣]. وجاء عن ابن الجزري في "مفتاح الحصن" قوله: «والاقتصار على الصلاة عليه (صلّى الله عليه وسلّم) لا أعلمه ورد في حديث مرفوعًا إلّا في سنن النسائي في آخر دعاء القنوت، وفي سائر صفة الصلاة عليه ﷺ العطف بالآل»[٤]. انتهى.

وعن الشيخ الألباني: «ليس من السنّة، ولا يكون منفّذًا للأمر

---

(١) صحيح البخاري، ج ٦، ص ٢٧، باب قوله: إنّ الله وملائكته يصلّون على النبيّ، يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلموا تسليمًا.
(٢) سبل السلام، ج ١، ص ٣٠٥.
(٣) فتح القدير، ج ٤، ص ٣٨٠.
(٤) انظر: سعادة الدارين، للنبهاني، ص٢٩.

النبويّ من اقتصر على قوله: (اللهم صلِّ على محمد) فحسب، بل لا بدّ من الإتيان بإحدى هذه الصيغ كاملة، كما جاءت عنه ﷺ». (صفة صلاة النبيّ ﷺ: ١٢٩، ١٣٣) وعندما نتساءل عن السبب الذي جعل أهل السنّة يخالفون الأمر الإلهي والنبويّ في الصلاة على النبيّ ﷺ بعدم ذكر الآل لا نجد جوابًا سوى اتباعهم للمبغضين لأهل البيت من بني أمية كما صرّح به العلّامة الصنعاني قائلًا: «ومن هنا تعلم أنّ حذف لفظ الآل من الصلاة كما يقع في كتب الحديث ليس على ما ينبغي، وكنت سئلتُ عنه قديمًا، فأجبت: أنّه قد صحّ عند أهل الحديث بلا ريب كيفيةُ الصلاة على النبيّ ﷺ، وهم رواتها، وكأنّهم حذفوها خطأ وتقية لما كان في الدولة الأموية من يكره ذكرهم، ثمّ استمرّ عليه عمل الناس متابعة من الآخر للأوّل، فلا وجه له»[1]. انتهى.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

❁❁❁

(١) سبل السلام، ج ١، ص ٣٠٥.

القرآن الكريم استعان بالعمومات في بياناته لاستيعاب الأحكام الشرعية بكل تفاصيلها

السائل: حسنين حيدر الطفيلي

السؤال: السلام عليكم.. كيف يمكن لخمسمائة آية أن تحيط بكلّ مجالات الحياة، وتغطيها من جميع جوانبها؟!

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

إنّ جعل هذا العدد (٥٠٠) آية أنه يمثّل آيات الأحكام في القرآن الكريم ليس محلّ وفاق بين العلماء، فهي قد تبلغ (٦٠٠) آية، كما يذهب إليه البعض[١]، وكيفما كان فالإجابة على سؤالكم هي: أنّ القرآن الكريم استعان بالعمومات في بياناته لاستيعاب الأحكام الشرعية بكلّ تفاصيلها، فالصلاة مثلًا التي ورد في بعض الأحاديث أنّها عمود الدين وأنّها معراج المؤمن نجد أغلب الأحكام التي وردت بلحاظها في القرآن الكريم هي على نحو العموم والإجمال دون التفصيل والبيان، فقوله

(١) انظر: دروس تمهيدية في تفسير آيات الأحكام لآية الله الإيرواني، ص ٢٢.

تعالى: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، الوارد ذكره في آيات عديدة، هو قولٌ مجملٌ، ولا يوجد فيه تفاصيل لعدد الركعات ولا كيفية الأداء لهذه الصلاة من حيث الركوع والسجود والتشهد وغيرها، فهذه الوظيفة من البيانات أُوكلتْ للنبيّ ﷺ، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[1]، ومن هنا جاء البيان عن النبيّ ﷺ في ما يخصّ أحكام الصلاة حين قال: (صلّوا كما رأيتموني أصلّي)[2]، فبيّن للمسلمين عدد ركعات كلّ صلاة وطبيعة الركوع والسجود والتشهد فيها مع بقية التفاصيل.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



---

(١) سورة النحل: ٤٤.

(٢) صحيح البخاري، ج ١، ص ١٥٥؛ الناصريات للسيد المرتضى، ص ٢٢٩.



كيف يُتصوّر في حقّ الحسين عليه السلام أن يكون طالبًا للحكم والسلطان وهو يُخبِر عن مقتله واستشهاده؟!

السائل: حسين الساعدي، العراق

السؤال: السلام عليكم.. يرى البعض أنّ الإمام الحسين عليه السلام ما خرج على يزيد إلا لطلب الحكم والسلطة!! فما ردكم بارك الله فيكم؟

الجواب:

بسمه تعالى

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

هذا كلامٌ يوهم الضعَفَة، ويوقع الشبهة لمن لا بصيرة له، وهو مجرد دعوى لا دليل عليها، فكيف يُتصوّر في حقّ الإمام الحسين عليه السلام أن يكون طالبًا للحكم والسلطان وهو يُخبِر عن مقتله واستشهاده، فضلا عن إخبار جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك؟!

فأين يضع كاتب الشبهة ما رواه علماء المسلمين سنةً وشيعةً بأسانيد صحيحة حديث إخبار جبرئيل بقتل الحسين عليه السلام ومجيئه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقبضةٍ من تربته التي يُقتل فيها، منها ما رووه عن أنس بن مالك أنه قال: سمعت رسول الله، قال: «إن ملَكَ المطر استأذن النبي، فأذن له، فقال لأم

سلمة: املكي الباب لايدخل علينا أحدًا، قال: وجاء الحسين ليدخل، فمنعته، فوثب علينا، فدخل، فجعل يقعد على ظهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى منكبه وعلى عاتقه، قال: فقال الملَك للنبي: أ تحبه، قال: نعم، قال: أما إنّ أمتك ستقتله، وإنْ شئتَ أريتكُ المكان الذي يُقتل فيه، فضرب، بيده فجاء بطينةٍ حمراء، فأخذتْها أم سلمة، فصرّتها في خمارها، قال: قال ثابت: بلَغَنا أنها كربلاء»، صحّح هذا الحديث كلٌّ من: الذهبي في سِيَرَ أعلام النبلاء[(١)]، والشوكاني في در السحابة[(٢)]، والألباني في السلسلة الصحيحة[(٣)]، وأحمد محمد شاكر في مسند أحمد بن حنبل[(٤)]، وحمزة أحمد الزين في مسند أحمد بن حنبل[(٥)]، وابن حبان في صحيحه[(٦)]، والهيثمي في مجمع الزوائد[(٧)]، وأبو حاتم في صحيحه، كما عن ذخائر العقبى[(٨)].

ثم إنّ الإمام الحسين عليه السلام صرّح في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية، ووضح غايته من الخروج إلى الكوفة، وأنّ خروجه إنما هو للإصلاح والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى بلغ قوله عليه السلام هذا حدُّ الاستفاضة والشهرة، ونصه: «إني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا مفسدًا ولا ظالمًا، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف

(١) سِيرَ أعلام النبلاء، ج٣، ص٢٨٩.
(٢) در السحابة، رقم الحديث ٢٣٥.
(٣) السلسلة الصحيحة، ج٣، ص١٦٠.
(٤) مسند أحمد بن حنبل، ص ٢٠٧، حديث رقم ١٣٤٧٣.
(٥) المصدر نفسه، ج١١، ص٢٠٧.
(٦) صحيح ابن حبان، ج١٥، ص١٤٢.
(٧) مجمع الزوائد، ج٩، ص١٩٣.
(٨) ذخائر العقبى، ص ١٤.

وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي محمد ﷺ وأبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فمن قبِلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردَّ عليّ هذا أصبر حتى يحكم الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين»[1].

وهذا الطبري في تاريخه وابن الأثير في "الكامل" ينقلان قوله عليه السلام وهو في مكة: «والله لئن أُقتل خارجًا منها بشبر أحبّ إلي من أن أُقتل فيها، ولأن أُقتل خارجًا منها بشبرين أحب إلي من أن أقتل خارجًا منها بشبر، وايم الله لو كنت في جحر هامّة من هذه الهوامِّ لاستخرجوني حتى يقضوا بي حاجتهم! والله ليعتدُنّ عليّ كما اعتدتِ اليهود في السبت»[2].

وقريبٌ منه ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه بسندٍ حسن لمّا اعترضه عبد الله بن الزبير، فقال عليه السلام: «لَئِن أُقتل بمكانِ كذا وكذا أحبّ إلي من أن تُستحَلّ بي -يعني مكة-»[3]، ونحو ذلك من الأخبار التي لا يسع المقام استيفاؤها.

فلا مجال لهذه الشبهة بعد أن اتضح مما ذكرناه من النصوص التاريخية أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يعلم أنّ القوم قاتلوه لا محالة، ولا يمكن لعاقل القول بأنّه عليه السلام خرج طلبًا للحكم والسلطان.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

---

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢١٩؛ مقتل الحسين، الخوارزمي، ج١، ص١٨٩؛ المناقب لابن شهرآشوب، ج٤، ص ٨٩.

(٢) تاريخ الطبري، ج٣، ص٢٩٥؛ الكامل في التاريخ، ج٣، ص١٤٨.

(٣) مصنّف ابن أبي شيبة، ج١٥، ص٩٥.



المحتويات